أبو الأعلى المودودي

وحركة الجماعة الإسلامية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة أبو أحمد عبد القادر عبد الله الترکاربوري



أبو الأعلىٰ المودودي

وحركة الجماعة الإسلامية



تأليف

فضيلة الشيخ العلامة أبو أحمد عبد القادر عبد الله التركاربورى

﴿وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ
مِنْهُ وَ هُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾

[سورة آل عمران : ٨٥]

إهداء

إلى ...

الـذيـن يـحـقون الحق و يبطلون الباطل ابتغاء مرضات الله تـعـالى و لا يخافون فى ذلك لومة لائم، أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم مغفرة و أجر كريم.

شكر واجب

نتـقـدم بـخـالص الشكر و التقدير إلى الشيخ الجليل المولوى أبى أحمد عبد القادر عبد الله التركاربورى ـــــ حفظه الله تعالىٰ و رعاه ـــــ

الـذى أعـارنـا الـنسـخة التى طبعناها دون مكأفاة ، خالصة لوجه الله الكريم.

فشكر الله له على حسن نيته .

[المركز]

أضواء على الكتاب

كتاب يرد على الجماعة الإسلامية و لكن ليس بأسلوب غير اللائق بالأدب، بل بأسلوب علمي دقيق و أنيق و بالمواد المحققة و البراهين القاطعة ، تليق أن تشاد.

الأستاذ أبو الأعلى المودودى رجل ظهر فى مطلع القرن الرابع عشر ثم خالف السواد الأعظم من الأمة الإسلامية فى بعض المسائل الدينية المهمة ، كما ستشاهد فى غضون هذه الأوراق. إنه اشتهر بكثرة كتابته على المواضيع الإسلامية ، و له تفسير القرآن الكريم تحت عنوان : "تفهيم القرآن" فى عدة مجلدات.

و الحال أنه كان لا يجيد اللغة العربية ، كما شهدت به كاتبة مصرية وفدت إلى بلاد الهند و هى ناطقة باسم الصحيفة أو كانت صحفية . عندما عادت إلى بلدها مصر سألها بعض أحبائها عما أعجبها فى الهند ؟ فأجابت و أعربت عن إعجابها بهذه الألفاظ :

"من عجب العجاب ! سعدت بلقاء رجل دينى فى الهند اسمه أبو الأعلى المودودى ، كان يفسر القرآن و هو لا يعرف اللغة العربية."

هذا ، لأن السيدة الكاتبة التقت بالمودودى و تكلمت و لكن المودودى لم يستطع أن يلفظ كلمة أو كلمتين بالعربية فضلا أن يتكلم معها.

و لهذا المقام قال شاعر بالفارسية، فأحسن ما قال :

لما كان المكتب و المعلم هكذا ، فسوف يقضى على أعمال الأطفال.

و إذا لم يكن يجيد اللغة العربية ، لغة القرآن و السنة فكيف يتسنى له الرسوخ فيهما؟ و كيف يستحق للتفسير ؟ مع أن من أهم شروط المفسرين : إتقان اللغة العربية ، بحيث يحفظ مدلولات ألفاظ النصوص على حسب اللغة التى نزل بها القرآن الكريم. أما الإخوة العرب فأصيبوا بسوء الفهم حول شخصية المودودى حيث أنهم يظنونه كاتبا بارعا و أديبا أريبا باللغة العربية و ماهرا فى آدابها . و لكن من خيانة علمية عظيمة نريد أن نكشف الستار عنها، هى أن بعض مؤيديه ترجموا آراء ه و أفكاره إلى مختلف اللغات كالعربية و الإنجليزية ثم أخفوا أسمائهم فى الترجمة و أبدوا أنه كتب المودودى بقلمه ، و الحقيقة أنه لم يكتب و لن يكتب شيئا باللغة الأجنبية أيان كان.

هذا كان مثال واحد لجهله عن اللغة و الأدب، و هناك أمثال كثيرة لعدم اطلاعه على قوانين الشريعة الإسلامية بأصولها و فروعها، حيث أخطأ فى تفسير الاصطلاحات الشرعية الإسلامية التى كانت معروفة من لدن سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا و

مولانا محمد رسول الله ﷺ عند المحققين و رجالات الدين.

و لدحض هذه الخزعبلات التى شاعت فى شبه القارة الهندية و التى تزداد تشاع من قبل الجماعة الإسلامية لا بد لها من الإصدار مثل هذا الكتاب العلمى.

و من هنا أهنئ مركز أهل السنة بركات رضا (فوربندر، الهند) حيث أنه تولى طبع و نشر هذا الكتاب النافع فى داره و خاصة فضيلة الشيخ عبد الستار الهمدانى (حفظه الله) يستحق الثناء على تأسيس هذا المركز لمثل هذه الأمور.

و كذلك نشكر لفضيلة الشيخ أبى أحمد عبد القادر عبد الله مؤلف هذا الكتاب، حيث أجاز للمركز بالطبع و النشر من جديد، و نشر لأول مرة فى مدينة إستنبول بـ تركيا. فجزاه الله خيرا. ثم نشكر للأخ الكريم أرشد على الجيلانى الذى كتبه فى الكمبيوتر.

و أخيرا أدعو الله سبحانه و تعالى أن يوفق المسلمين لتفهيم الدين من مصادره الأصلية و الأصيلة.

و ما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب. وصل اللهم على سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين.

نعمان الأعظمى الأزهرى

خادم العلم الشريف


JANNATI KAUN?

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين شفيعنا ووسيلتنا فى الدارين سيدنا محمد و آله و صحبه أجمعين و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد مضت سنة الله فى هذه الأمة فى العصور الغابرة أن يسلط رجالا يرقص أقلامهم فى ميادين الأسفار بدعاويهم المبتدعة و هفواتهم الشاذة الفاذة فأصبحوا بذلك وسيلة لإضلال العامة و أتباعهم حيث يكون لهم براعة فى الانشاء و مقدرة فائقة فى تحليل الأبحاث و تنقيح الأفكار فالعلم و التحقيق و إن كانا قاصرين بيد أن القلم يدهش الأفكار إذا شاهد العامة بعض الأبحاث التى يعجب الأنظار منهم و قرأوا ذلك من مقالاتهم و أسفارهم يعجبون بهم و يصيرون مغرمين بآرائهم حتى أنهم إذا صادفوا أقوالهم منافية للجماهير من السلف و الخلف طعنوا الجماهير و وجهوا إليهم المطاعن و رموهم بالغباوة و الضلال و الغى و ذلك سنة الله فى هذه الأمة من القرن الأول خير القرون انتزعت فرقة الخوارج مضللين الصحابة خير الأمة ثم حذا حذوهم الرافضة و المعتزلة و من نحا نحوهم يتفق الحد المشترك منهم فى تضليل الأوائل أهل السنة و الجماعة الذين قال عنهم النبى ﷺ: ما أنا عليه و أصحابى.

و من هذا الصنف فى هذا القرن الرابع عشر من الهجرة شخصية أبى الأعلى المودودى صاحب تأليفات و مقالات شرقت و غربت و ترجمت إلى شتى اللغات و سارت بها الركبان إلى كل ناحية من أنحاء الأرض و تغلغلت فى بلاد العرب اغتر بها العباد من الخاصة و العامة و أهل السياسة و الحكومات حيث تظاهر بمظاهر من الزعامة و الإمارة و ادعى أنه الرجل الوحيد و الشخصية البارزة فى العالم الذى وقف جهوده لإقامة الدين و للحكومة الإلهية و للتجديد و إحياء الدين تحت ضوء القرآن و السنة بيد أن مقالاته و تأليفاته جمعا بالأردية و لم يكتب موضوعا بالعربية و ما قدر عليه حتى وافاه أجله.

برزت آراء ه و أبحاثه فى أوساط الناس بأسلوب جذاب حين كانت جهود الشعب ضد الحكومة الغاشمة البريطانية فى الظروف السياسية فمن الطبيعى أن ينال دعوته و ندائه إجابة و تلبية من جهات الأفكار السياسية المتلاطمة فى تلك البحار الحكومية الزاخرة و ياليته لو اكتفى بهذا و لم يدخل فى العقائد الدينية و غضون التفاسير و شروح السنة فى طى مقالاته و تأليفاته مثل التفهيمات و التنقيحات و التجديد و إحياء الدين و الرسائل و المسائل و رسالة دينيات و سياسى كشمكش و رسائل أخرى يبحث

فيها عن عصمة الأنبياء و عدالة الصحابة و علوم الكتاب و السنة و ينتقد الصحابة و أرباب التصوف و المحدثين و الفقهاء يفهم من يطالعها ممن له أدنى مسكة فى الشرعيات بأن لا رسوخ له فى علومها و لا أهلية له فى تلك المسائل المهمة و جرى فى أبحاثه ما لا يسوغه دين و لا علم حيث اعترض عليها علماء الهند جنوبا و شمالا و شرقا و غربا و نقدت أيها الكاتب مقالاته فى اللغة المليبارية فى حياته و فورته سنة ١٩٦٠ الميلادية و تعرضت لما خالف أهل السنة و الجماعة فى عقائدهم التى تمسكوا عليها كابرا عن كابر عربا وعجما.

شيء من حياته و نشأته :

ولد هذا الشخص فى سبتمبر من سنة ألف و تسع مائة و ثلث الميلادية ببلدة "أورنكاباد" و تلقى مبادئ العلوم من بيته الذى تنتهى سلسلة أجداده إلى الشيخ قطب الدين الجشتى المودودى رحمه الله تعالى ثم دخل معهدا بحيدر آباد سنة ١٩١٤ الميلادية و أخذ من هناك العلوم الدينية و التعليم المدنى و كان أبوه محاميا و ترك وظيفته و أصيب بالشلل و الفالج و بقى طريح الفراش نحو أربع سنوات إلى أن توفاه الله عزوجل و لذلك اضطر ابنه المودودى إلى طلب طريق التعايش فى شرخ شبابه قبل إكمال الدراسة و من سوء الصدفة اصطحب كاتبا بارعا فى اللغة الأردية

من كبار ملاحدة الكتاب و هو نياز فتح بورى آل أمره إلى الخروج من الدين و استهزاء بالجنة و النار لذلك اتفق علماء الإسلام على خروجه عن الإسلام و قد تأثر المودودى إلى حد كبير بصحبته كما يصرح بذلك بقوله: "قد أثبتت التجارب فى عام و نصف إن قضاء الحيلة بعزة لا بد لها من أن يستقل المرء بالكسب لمعاشه مستغنيا عن الناس و أن يسعى لحياة طيبة و إن ملكة الإنشاء و المقدرة على التعبير كانت مودعة فى طبيعته و قد قويت هذة الملكة بالمطالعات و قد حصلت لى الصلة و الصداقة بالأستاذ "نياز فتح بورى" و صحبته قد حثت عزمى و رغبتى و نظرا إلى أمثال هذه الأسباب قمت بأمر فصل أدى لأن أجعل تلك الملكة الإنشائية القلمية وسيلة لمعاشى." (انظر ص ٧٢ من مولانا مودودى لأسد الكيلانى)

نرى فى هذه المقالة أنه كشف الغطاء و صدع بما هو ينويه فتقدم إلى الأمام و رافق أخاه السيد أبا الخير المودودى فى تحرير جريدة بمدينة "بجنور" و لكن الظروف السياسية قد اضطرته إلى الانعزال عنها و اتصل بإدارة "أنجمن إعانت بندان إسلام" و بإدارة "تاج" الأسبوعية و هو يفصح أيضا: فكنت أكتب فيها إلى أن أصدرت إدارة "جمعية علماء الهند" جريدة "مسلم" تحت إشراف المفتى محمد كفاية الله و الشيخ أحمد سعيد الدهلوى.

و يقول أبو الأعلى : منذ ١٩١٦ إلى ١٩٢١ الميلادية قد ضاقت بى الأرض و اضطررت إلى جولات فى البلاد و إلى رحلات فى الأقطار و كنت فى غاية الأسف على أن لم أنتهز فرصة لإكمال الدراسة و لم أكن أقدر على إزالة هذه البلايا إلى أن أقمت بدهلى أشتغل بمراسلة فى جريدة " الجميعة " التى تصدر تحت إشراف جمعية علماء الهند و كنت أختلس فرصا لإكمال دراستى و تعلم الكتب المختلفة فى الأدب و المنطق و الحديث والتفسير و لكن لم يتم له ذلك كما سيشهده طيات تاريخه و قد جاء فى بعض الجرائد اليومية أنه تعلق فى هذا الأوان بآراء الشيوعية الماركسية مع أنه طالع الكتب و المجلات محكما آرائه السياسية و ظروفه السيالة و الله أعلم .

ثم رجع إلى حيدر آباد دكن و أراد أن يشتغل بشؤونه للمعاش فاشتغل بالتأليف والتصنيف إلى أن أصدر مجلة شهرية باسم "ترجمان القرآن" سنة ١٩٣٢ الميلادية و جعل ينشر فيها آرائه المبتكرة و تفسيره السياسى للإ سلام من خلال أسلوبه الطبعى الجذاب و براعته الإنشائية و أبحاثه المدهشة شرع لتأسيس إدارة "دار الإسلام" بمساعدة رفقائه الأربع و هم : الشيخ منظور النعمانى الذى اعتزل من آرائه بعد و تمسك بهدب العقائد النجدية و الإلياسية و صار عضوا لها كما يفصح ذلك موضوعاته التى نشرت أخيرا فى

جـريدة "الداعى" التى تصدر من دار العلوم الديوبند و كان هو الباعث أولا لـلـمودودى على إقامة هذه الإدارة كما يصرح بذلك الفقيد يوسف البنـورى و الثـانـى الشيـخ أبـو الـحسن على الندوى اللكنوى الكتاب الشهيـر فـى الـعـالـم و الثـالـث الشيخ أمين أحسن الإصلاحى و الرابع الشيخ مسعـود عالم الندوى بمعونة أحد الأثرياء فى بتهان كوت سنة ١٩٣٨م إلـى أن أسـس إدار.ة بـاسـم جـمـاعت إسلامى (الجمـاعة الإسـلامية) سنة ١٩٤١م فأكب الشباب على أبحاثه و اعتقدوا فضله و ذاع صيتـه و لـكـن سـرعـان مـا تـنبه أهل العلم و أرباب الفضل إلى مغامز من ثنايا مؤلفاته و مقالاته و إلى شذوذ آرائه و أفكاره و تفرس و تشائم أرباب القلوب الزكية إلى عواقب خطرة فى ما يقوله و يجتهد له بالتدابير و يجذب إليه أحداث الأسنان الذين لا تمسك لهم بالعقائد الدينية و العلوم الشرعية .

فـأول مـن قـام بـالـرد عـلـى كتـابـاتـه الشيخ مناظر أحسن الـكيـلانـى فـكتب فى الرد عليه مقالة فى جريدة " صدق جديد" التى تـصـدر تـحت إشراف عبد الماجد الدريا آبادى بعنوان " الخارجية الـجـديدة" ثم تنبه صاحب جريدة الصديق فقام بالرد عليه ثم السيد سـليمان الندوى و الشيخ حسين أحمد المدنى شيخ الحديث فى دار الـعـلـوم بـديوبند سابقا و استقال من رفقائه الأربع بعد ستة أشهر

الشيخ النعماني و أبو الحسن على الندوى و الشيخ أمين أحسن الإصلاحى انزوى بعد برهة من الدهر بعد ما رأى من عقائده الزائغة التى لا يستطاع الصبر معها و الرابع قد توفى قبل برهة من الزمان سامحه الله بفضله .

و بالجملة كانت حقيقة الحال أنه لم يتلق العلوم الشرعية من أهلها و لم يتقن العلوم العربية من أصلها و لم يستفد من أرباب العلوم الدينية الراسخين فيها و لكن تلقى شيئا من المبادئ و تقدم إلى الأمام بقريحته و مطالعاته و كان يختلس بين حين و آخر للتلقى ثم كان الضغث على وفاة والده و احتياجه إلى معاشه و قضى ريحان شبابه فى جولات و أسفار و خدمات فى الجرائد و المجلات فظهر أمام الناس رجلا أخباريا بحاثا و هو لا يجيد اللغة العربية و لا الإنجليزية و لا غيرها من اللغات، و كل ما ترجم من تأليفه إنما هو ترجمة من الآخرين و الأسف أنه ما أجاد اللغة العربية لا خطابة و لا قرأة ما عدا ما فهم من مباديها و كل ما ظهر من تأليفه فهو مترجم من الأردية بقلم الشيخ مسعود عالم الندوى و تلامذته و إن كان مكتوبا عليها "تأليف المودودى" دعاية و ادعاء فظن القوم و خصوصا علماء بلاد العرب و السعودية أنه نفسه ألفها بالعربية الفصحى بالأسلوب الأدبى فأنى لهم التناوش من مكان بعيد؟ و قد جاء فى الجرائد أنه

ألقى مرة فى دمشق محاضرة فى اللغة الأردية و أمروا الأستاذ أبا الحسن الندوى بترجمتها إلى العربية .

و هاك شاهدا لما أقول: بيان جريدة " العرب" التى تصدر من كراتشى حيث يصرح " و معلوم أن مولانا المودودى نفسه تثقف ثقافة أردية و تلقى علومه بالأردية و لا يعرف العربية و لا يستطيع أن يتكلم بجملة واحدة عربية صحيحة منها الخ عدد ٣٠٤٢٨ فى جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ الهجرية .

هذه نبذة يسيرة من حياته و هو زعيم سياسى قبل كل شىء هو كاتب جذاب باللغة الأردية له قلم سيال استفاد كثيرا من مشاهير أهل الإنشاء و الكتابة ثم انتهى إلى أسلوب خاص جيد و له ملكة قوية فى تجزئة الأبحاث و تحليل الأفكار ألف عدة تأليفات احتوت على أبحاث رائعة بيد أن قلمه زاغ و طغى عن نهج الاستقامة و عن طريق أهل السنة و الجماعة فرده العلماء من أهل الهند جنوبا و شمالا و على مقدمتهم العلماء الديوبنديون و أبو الحسن على الندوى فى رسالته "التفسير السياسى للإسلام " و غيرهم من علماء كيرالا و سائر ولايات الهند و أفتوا بمروقه عن نهج أهل السنة و الجماعة .

و لا أنسى ما شغف به الإخوة العربيون من أهل الحجاز و الخليج من العلماء و العوام بمؤلفاته المعربة و أصبحوا مغرمين به

حبا للإسلام و خدمته و لو علموا ما فى مؤلفاته الأردية من الطامات و الزيغ عن الحق و طعن الصحابة و الأئمة و التحريف فى المصطلحات الشرعية و الازدراء بالسلف الصالحين لكانوا أول الناس براءة من إجلاله و معاونته و أنا أقدم للناظرين عدة نماذج من زيغه المبين الضال المضل إن شاء الله و ألفت أنظارهم إلى آرائه المنحرفة إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، و ما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب.

المصطلحات الشرعية فى نظر المودودى:

يزعم المودودى مؤسس الجماعة الإسلامية فى كتابه المعروف " المصطلحات الأربعة فى القرآن " و هو يتحدث عن كلمات " الإله" و "الرب" و " العبادة" و " الدين " أن هذه الكلمات القرآنية و المصطلحات الإسلامية الأساسية كان يفهمها جيدا كل من كان يخاطبه القرآن لدى نزوله من أهل الجاهلية لأن القرآن عربى و كان المخاطبون عربيين و يقول: " لما نزل القرآن فى العرب و عرض على الناطقين بالضاد كان يعرف كل أحد منهم حينئذ ما معنى الإله؟ و ما المراد بالرب؟ لأن كلمتى الإله و الرب كانتا مستعملين فى كلامهم منذ قديم، و كانوا يحيطون علما بجميع المعانى التى تطلقان عليها الخ" و كذلك كانت كلمتا العبادة و الدين

شائعتين فى لغتهم و كانوا يعلمون ما العبد؟ وما الحال التى يعبر عنها بالعبودية؟ و ما المنهاج العملى الذى يطلق عليه اسم العبادة؟ و ما مغزى "الدين" و ما هى المعانى التى تشتمل عليها هذه الكلمة؟ ألخ. (المصطلحات ص ٩٨)

لكن الحال لم تعد على هذا المنوال بل غابت عن الناس و خفيت عليهم هذه الحقائق المشرقة و تراكم على المصطلحات الأربعة فى القرآن التى هى فى منزلة المبادئ الأولية لدى الإسلام غبار كثيف من الجهل و العجمة و الغفلة و الإهمال و كل ذلك على أثر انقراض عهد النبوة و الجيل الذى أدرك العصر الجاهلى و نشأ فى الإسلام، و يقول: فى السطور التالية و لكنه فى القرون التى تلت ذلك العصر الزاهر جعلت تتبدل المعانى الأصلية الصحيحة لجميع تلك الكلمات تلك المعانى التى كانت شائعة بين القوم عصر نزول القرآن حتى أخذت تضيق كل كلمة من تكلم الكلمات الأربع عما كانت تسمع له و تحيط به من قبل و عادت منحصرة فى معان ضيقة محدودة و مخصوصة بمدلولات غامضة مستبهمة و ذلك لسببين اثنين.

الأول : قلة الذوق العربى السليم و نضوب معنى العربية الخالصه فى العصور المتأخرة.

و الثانى: أن الذين ولدوا فى المجتمع الإسلامى و نشأوا فيه

لم يكن قد بقى لهم من معانى كلمات " الإله و الرب و العبادة و الدين" ما كان شائعا فى المجتمع الجاهلى وقت نزول القرآن و لأجل هذين السببين أصبح اللغويون و المفسرون فى العصور المتأخرة يشرحون أكثر كلمات القرآن فى معاجم اللغة و كتب التفسير بالمعانى التى فهمها المتأخرون من المسلمين بدلا من معانيها اللغوية الأصلية و دونك من ذلك أمثلة .

إن كلمة "الإله" جعلوها كأنها مترادفة مع كلمة الأصنام و الأوثان و كلمة "الرب" جعلوها مترادفة مع الذى يربى و ينشئ و للذات القائمة بأمر تربية الخلق و تنشأتهم و كلمة العبادة حدودها فى معنى التأله و التمسك و الخضوع و الصلاة بين يدى الله و كلمة الدين جعلوها نظير الكلمة النحلة (RELEGION) و كلمة "الطاغوت" فسروها بالصنم أو الشيطان. (المصطلحات الأربعة ص ١٠٩)

ثم بعد ذلك يزعم و هو يتحدث عن نتائج هذا التفسير فى الفهم و تحريف الألفاظ من المفسرين " فمن الحق الذى لا مراء فيه أنه خفى على الناس معظم تعاليم القرآن بل و غابت عنهم روحه السامية و فكرته المركزية لمجرد ما غشى هذة المصطلحات الأربعة الأساسية من حجب الجهل و ذلك من أكبر الأسباب التى قد تطرق لأجلها الوهن و الضعف إلى عقائدهم و أعمالهم على رغم قبولهم دين

الإسلام و كونهم فى عدد المسلمين . (نفس المصدر ص ١٠٩)

يـا الله! ماذا نرى من هذا البيان لا يخفى أن يفهم منه القارئ الـذى لـم يـمـارس بـالـعلوم الشرعية و لم يتلق العلوم من أربابها أن الـقـرآن قـد بـقـى هذه المدة الطويلة عبر الامتداد الزمانى و الأبعاد الـمكـانية مـلتبسـا غيـر مـفهـوم عـلى الأمة المرحومة المعصومة عن اتـفاقهم فى الضلالة و مضت على ذلك قرون و أجيال لم يتبين لديهم حـقيـقة الـكـلـمـات التى يدور عليها هذا الكتاب المبين و تقوم عليها تـعـاليـمـه و دعـوته إلا فى العصور الأخيرة حين قيض الله لفهمها و رفـع الـلـثـام عـنهـا هـذا الـرجـل الـفـاذ و هذا الفهم لا غرو يشك فى صـلاحية هـذه الأمة لـفهـم الـقـرآن الـكـريـم و الـعمل به فى تاريخها الـطـويل و يقلل من قيمة مآثر المفسرين و المجتهدين و المحدثين و الـفـقـهـاء الـغـابرين فى جهودهم العلمية و العملية و هل فرق بين هذا الـزعـم و تهور الباطنية بـحمل الكتاب على غير مؤداه وفقا لما تسوغ عـقـولهـم السـخـيـفة فـإنهـم فهـمـوا أن الـصلة القائمة بين الكلمات و الـمصطلحات الدينية و معانيها أساس تقوم عليها الـحياة الإسلامية، فـإذا انـقطعت هذه الصلة بين الكلمات و المعانى و أصبحت الكلمات لا تـدل على معنى خـاص و مفهوم معين أصبحت فريسة لكل دعوة و فـلسفة و سـاغ لكل أحد أن يقول ما شاء فى كتاب الله و تعم الفوضى

العقلية فيه و ذلك ما يريدون و منه يدخلون و ينقلبون و هذه الفكرة تخالف العقيدة الدينية و الحقيقة العلمية التى وجدنا الكتاب و السنة عليها لأن هذه الأمة المحمدية لم تتلق الدين فى صورة الكتاب فحسب منشورة فى أطر ألفاظ و كلمات بحيث يفهمها كل من يعرف اللغة العربية بل يصرح القرآن ﴿ وَ أَنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ عَلىٰ قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ ﴾ [سورة الشعراء ، آية: ١٩٢]

ثم يصرح :

﴿ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ ﴾ [سورة النحل ، آية : ٤٤]

و يقول تعالى أيضا :

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [سورة القيامة ، آية:١٧،١٩]

و بشر تعالىٰ بقوله:

﴿...لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ ﴾

و بقوله:

﴿...لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

أن هذا القرآن لم يتركه سبحانه و تعالى متطرقا لتفسير

المتهورين و فكرة كل المتفكرين بل قيض رسوله للإنذار به و للتبيان لما فيه يحمل ذلك عنه الصحابة الذين هم نجوم الأمة و يرويه عنهم تابعوهم كابرا عن كابر، و قد أكد ذلك بقوله ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ثم إن علينا بيانه فكان النبى ﷺ هو المفسر للقرآن و شارحه الأول و كان سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله تعالىٰ عنهما هو رائد هذا العمل فبعد هذا الوعد الإلهى المبشر بأن علينا بيانه لامساغ للقول: بأن الكلمات القرآنية الجذرية التى لا يمكن الوصول إلى مفاهيم القرآن و معانيها حققية و أحكامه و مطالبه المرادة بدونها بقيت قرونا طوالا غير مفهومة منطوية على معانيها.

أو ليس ذلك الدعوى تضليلا للأمة و قد صرح رسول الله ﷺ بأنه لا تجتمع أمتى على ضلالة و يقول الحافظ ابن كثير يفسر قوله تعالى:

﴿ وَ مَنْ يُّشَاقِقْ الرَّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدٰى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيْلِ الْمُؤْمِنِيْنَ ...﴾ [سورة النساء، آية : ١١٥]

فأنه قد ضمنت لهم العصمة فى اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم و تعظيما لنبيهم و قد ورد أحاديث كثيرة فى ذلك.

(تفسير ابن كثير ٢ / ٢٩٣)

و قال تعالى:

﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُوْنُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْدًا ﴾ [سورة البقرة ، آية : ١٤٣]

فكيف يكون هذه الأمة وسطا و شهداء على الناس مع اجتماعهم الضلالة عبر أربعة عشر قرنا حتى يوافى رجل أعجمى ليس عنده علم بلغة القرآن و الأحاديث و العلوم الشرعيات، و كيف يمكن للعقل السليم أن يسلم بأن هذه الأمة و خصوصا فى القرون الأولى التى تلت عصر نزول القرآن و عهد الرسالة عاشت فى جهل معضل لتلك الحقائق الأساسية التى هى مفتاح فهم القرآن و محور الدعوة إلى هذا الدين و تواردت القرون عليها بطنا بعد بطن و إن أردت أن تعرف ما يرشدك إلى صيانة الدين عن الخطأ فطالع كتب الأئمة مثل الجزء الثانى من الموافقات فى أصول الشريعة للعلامة أبى إسحاق الشاطبى (المتوفى ٧٩٠هـ) فى عنوان المسألة الثانية عشرة الذى استهله بما يلى أن هذه الشريعة المباركة معصومة كما أن صاحبها ﷺ معصوم و كما كانت أمته فيما اجتمعت عليه معصومة رغم أنف أبى الأعلى المدعى ضلالة الأمة فى فهم القرآن المتوارث عنهم كابرا عن كابر، حمانا الله من مثل هذه البلوى، آمين.

محور المصطلحات القرآنية عند المودودى :

قـد أسـلـفـنـا أن الـمـودودى يضلل السلف و الخلف فى فهم الـقرآن و يدعى أنهم فى حجب الجهل عن معرفة ألفاظ المصطلحات من القرآن غاضا بصره عن مآثر السلف الذين رووا الكتاب و السنة و بـلـغـوهما إلى الأواخر كابرا عن كابر و حققوا الشريعة عبر تاريخ الـقـرون الـطويل و قد أثر هذا البيان فى اتباعه عقيدة فاسدة حيث يـقـتـصـرون عـلـى دراسات كتاباته و لم يفهموا الإسلام ولا بيانه من الأئـمة الأعـلام و التاريخ الإسلامى إلا من خلال مقالاته و مؤلفاته و كتـابـاتـه و قـد بـلـغ منهم اليأس من معرفة تاريخ المسلمين و مآثرهم الـعـلـمية و الـفـكـرية مـن الـقـرون الأولـى حتـى تضـاءلـت أمـامهم الشـخـصـيـات الإسـلامية العملاقة و قلت قيمة الجهود التى بذلت فى سبيـل الـنهـضة مـن الـريـاضـات و المساعى المحمودة و قيمة المآثر الـعلمية التى تحلى بها تاريخ الإسلام و ازدانت بها المكتبة العالمية و آمـن كثيـر مـن اتبـاعـه حتـى أنه صرح به البعض أن فكرة الإسلام الـمـنتسـقة أو التـصـور الإسـلامـى الكامل لم يبرز إلا فى هذا الزمن الأخيـر من مركز دعوة " الجماعة الإسلامية " فى شبه القارة الهندية و بقلم مؤسسها فى الثلاثينات من القرن العشرين.

و مـحور المصطلحات الأربعة من القرآن عند المودودى هى

"حاكمية الإله و الرب" و أما الدين و العبادة عنده هما طريقان يؤديان إليها فقط، يقول: و هو يشرح مصطلح " الإله" فخلاصة القول: أن أصل الألوهية وجوهرها هو السلطة سواء كان تعتقدها الناس من حيث أن حكمها على هذا العالم حكم مهيمن على قوانين الطبيعة أو من حيث أن الإنسان فى حياته الدنيا مطيع لأمرها و تابع لإرشادها و إن أمرها فى حد ذاته واجب الطاعة الإذعان و هذا هو تصور السلطة الذين يجعل القرآن الكريم أساسا ما يأتى به من البراهين و الحجج على إنكار ألوهية غير الله و إثبات الألوهية لله وحده . (المصطلحات الأربعة فى القرآن ص ٢٣٥)

ثم يقول: بعدما أورد آيات قرآنية كثيرة كدليل على دعواه: ففى جميع هذه الآيات من أولها إلى آخرها لا تجد إلا فكرة رئيسية واحدة ألا وهى إن كلا من الألوهية و السلطة تستلزم الأخرى و إنه لا فرق بينهما من حيث المعنى و الروح، فالذى لا سلطة له لا يكون إلها و لا ينبغى أن يتخذ إلها و أما من يملك السطة فهو الذى يجوز أن يكون إلهاء و هو وحده ينبغى يمكن أن يتخذ إلها و ذلك بأن جميع حاجات المرء التى تتعلق بالإله أو التى يضر المرء لأجلها أن يتخذ أحدا إلها له لا يمكن قضاء شىء منها من دون وجود السلطة و لذلك لا معنى لألوهية من لا سلطة له، فإن ذلك أيضا مخالف للحقيقة

و من النفخ من الرماد أن يرجع إليه المرء و يرجو منه شيئا.

(نفس المصدر، ص ٢٩، ٢٨)

و يقول فى سياق الشرح للرب و الربوبية: فبقراءة هذه الأيات بالترتيب الذى سردناها به يتبين للقارئ أن القرآن يجعل (الربوبية) مترادفة مع الحاكمية و الملكية. (المصطلحات ص ٩٣)

فقد يرى الناظر أنه يصرح بأن حقيقة الرب هى السلطة العليا، و العبادة و العبودية عبارة عن طاعة هذه السلطة و امتثال أمرها و الإذعان التام لها و النبى هو النائب و الممثل عن هذه السلطة الأعلى و يجب أن يطيعه الناس بوصفه هذا وحده و البشر كرعية مالك الملك الذين يجب عليهم أن يخلصوا له العبادة و العبودية و الخضوع و الإذعان، و قد تعرض لذلك بصراحة مفسرا قوله تعالى: فى آل عمران حكاية عن عيسىٰ فى قوله:

﴿ إِنَّ اللّٰهَ رَبِّىْ وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌ﴾

[آل عمران ، آية : ٥١]

فليطالع تفهيم القرآن من أراد الإطلاع عليها.

و يقول أيضا : و هو يتحدث عن عناصر العبادة (الولاء للسيد و الطاعة له و تعظيمه) و يقرر أن هذه الأمور الثلاثة هى التى عبر الله سبحانه عنها بكلمة " العبادة" الجامعة .

" واستحضر فى ذاكرتك هذا المعنى للعبادة ثم على تساؤلاتى الآتية ما رأيك فى الخادم (١) الذى بذل أن يذهب فيقوم بالوظيفة التى أسندها إليه سيده يظل قائما أمامه واضعا إحدى يديه فوق الأخرى يتلوا اسمه ملايين المرات يقول له سيده: اذهب فأد حق فلان و فلان، لكنه لا يبرح مكانه و يسلم على سيده عشر تسليمات راكعا خاضعا و يستوى قائما يضع إحدى يديه فوق الأخرى و يأمره سيده قائلا: اذهب فاقض على هاتى المفاسد لكنه لا يتحرك من مكانه قيد بوصة و يسجد لسيده مرة بعد أخرى: يقول له سيده : اقطع يد السارق لكنه لا يتحرك ليقوم و لو مرة واحدة بمحاولة لإقامة نظام الحكم الذى يسمح بقطع يد السارق فهل تقول: أن الرجل يعبد سيده فى معنى الكلمة؟ و إنى لأعلم ما ستقوله لخادم لك: وقف هذا الموقف و لكنه يا له من عجب منك من يصنع من خدم الإله هذا الصنع تحسبه أنت عبادا لله ؟ اعلم كم مرة يقرأ هذا المسكين أحكام الله فى القرآن الكريم منذ الصباح إلى المساء لكنه لا ينشط من مكانه لتحقيق تلك الأحكام بل يستمر يصلى النفل بعد النفل و يسبح باسم الله على سبحة ذات ألف حبة و يلحن فى تلاوة

---

(١) كلمة الخادم يدل على أن المودودى لا يرى الصلة بين العبد و المعبود و الإنسان و الإله تختلف عن الصلة التى بين الحاكم و المحكوم و لا فوق الصلة بين السيد و العبد الخادم و الآمر والمأمور يشهد ذلك صريح عبارته بعد و من يصنع هذا الصنع من خدم الإله تحسبه أنت عبادا !

القرآن و أنتم ترون صنيعه هذا فتقولون: ما أعبده و ما أزهده ! ويحا لكم و عجبا ! أنها وقعت فريسة هذا الفهم الخاطئ لأنكم لا تدرون المعنى الحقيقى للعبادة. (خطبات باللغة المليبارية ص ١٣٣)

قف على هذه المقالة مع ما سلف له من البيان تصل أن العبادة هى طاعة الحاكم الآمر خلاف ما يفهمه المسلمون و الألوهية والربوبية هى الحاكمية و السلطة فقط فهل هذا إلا اختراعا فى الشريعة و تحريفا لما اصطلح عليه السلف و الخلف من هذه الأمة و هل له سابقة مماثلة فى هذه الدعوى إلا صريحات السيد قطب الذى أجال فكرته على أسلوب الغربيين حيث يقول: هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله فى الأرض أخص خصائص الألوهية و هى الحاكمية أنها تسند الحاكمية إلى البشر فتجعل بعضهم لبعض أربابا لا فى الصورة البدائية الساذجة التى عرفها الجاهلية الأولى و لكن فى صورة ادعاء حق وضع التصورات و القيم و الشرائع و القوانين و الأنظمة و الأوضاع بمعزل عن منهج الله و فيما لم يأذن به الله. (معالم فى الطريق ص ٩)

و يقول أيضا: فهذا الاعتبار يعد من المعلوم من الدين بالضرورة من دان لغير الله و حكم فى أى أمر من أمور حياته غير الله فليس من المسلمين و ليس هذا الدين و من أفرد الله سبحانه

بالحاكمية و رفض الدينونة لغيره من خلائقه فهو من المسلمين و في هذا الدين. (في ظلال القرآن ج ١٤ ص ١٨٤)

فهذان المفكران يجتمعان في أن الدين و العبادة هما الطاعة للحكومة و الألوهية و الربوبية هي الحاكمية التي هي أخص خصائص الألوهية فقط غير أن كتابات السيد قطب تقلل من شناعة عبادة الأصنام و الأوثان و عبادة غير الله في الجاهلية لأنه يعتبرها صورة ساذجة بدائية للجاهلية الأولى فحسب.

و الآن أذكرك ما يلوح لك عن هذه الكلمات على ما سطره علماء اللغة و التفاسير يقول الراغب في مفرادته: الدين يقال للطاعة و الجزاء و استعير للشريعة و الدين كالملة اه يبين هذا الإمام اللغوي إن الدين يقال لمعنيين: الطاعة و الجزاء و لكن استعير للشريعة و يرادفه الملة رغما على أنف أبي الأعلى حيث يقول: و في الحقيقة لفظ الدين قريب للمعنى المستعمل المحكومة و هي التسلط على القوم بالقدرة و تسليمهم للإطاعة فهذه هي مفهوم الدين. (سياسي كشمكس ج ٣ ص ٩٣)

و يقول السيد الشريف الجرجاني في التعريفات : الدين و الملة متحدان بالذات و مختلفان بالاعتبار فإن الشريعة من حيث أنها تطاع يسمى دينا و من حيث أنها تجمع تسمى ملة و من حيث

أنها يرجع إليها تسمى مذهبا فالدين و الملة مترادفان يطلقان على الشريعة فالملة و الدين والمذهب ليس بينها إلا فرق اعتبارى فقط. هذا ما فهمه أهل اللغة و المحققون و قد حرف المودودى هذا الاصطلاح و جعل الدين مرادفا للحكومة حيث يقول: هو التسلط و الاقتدار بالقوة على طائفة مخصوصة ساكنين فى ناحية متعينة من الأرض. (نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٠٠)

ثم ننظر تعريف العبادة : يقول القاضى المحقق البيضاوى: فى أنوار التنزيل " العبادة أقصى غاية الخضوع و التذلل و منه طريق معبد أى مذلل و ثوب ذو عبدة إذا كان فى غاية الصفاقة و لذلك لاتستعمل إلا فى الخضوع لله تعالى" و كذلك فى أبى السعود و غيره من التفاسير و يقول الإمام فخر الدين الرازى فى التفسير الكبير: و العبادة غاية التعظيم فإذا ثبت هذا فنقول: إن غاية التعظيم لا يليق إلا لمن صدرت منه غاية الإنعام فثبت أن المستحق للعبودية ليس إلا الله اه. (ص ١ / ١٢٣)

و أين هذا مع تعريف المودودى و السيد قطب بأنها طاعة الحاكم الآمر فقط.

و يقول القاضى أيضا: " الإله فى أصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق ثم بين الخلاف اشتقاقه هل هو من إله أو وله أو

غير ذلك، و تعرض إلى وجوه الاشتقاق و معانيها و بحث الإمام الرازى عن اشتقاق الإله من سبعة وجوه، قال البيضاوى عن لفظ الرب: و الرب فى الأصل مصدر بمعنى التربية و هى تبليغ الشىء إلى كماله شيئا فشيئا، ثم وصف به للمبالغة كالصوم و العدل و قيل: هو نعت من ربه يربى فهى رب كقولك: نم ينم فهو نم ثم سمى به المالك لأنه يحفظ ما يملكه و يربيه و لا يطلق على غيره تعالى إلا مقيدا كقوله: ارجع إلى ربك .

فاتضح لنا معانى هذه الكلمات الأربع المصطلحة فى القرآن رغما على أنف المفكرين المخترعين المفسرين للدين و العبادة على رأيهما السخيفة المبتدعة، حمانا الله من مثل ذلك البلوى .

و يجدر بنا أن نتعرض للفظى الرب و الإله أيضا، فهما مترادفان عند السلف من غير فرق، غير أن العلامة ابن تيمية الحرانى و أتباعه ثم الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى و أتباعه و من على منوالهم و نهجهم من علماء شمال الهند فرقوا بين هذين اللفظين حيث قسموا الشرك نوعين، شرك فى الربوبية و شرك فى الألوهية و عرفوا الشرك فى الربوبية بأن يجعل لغيره معه تدبيرا، و الشرك فى الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسئلة و حكموا بأن التوحيد فى الربوبية كان عليها أهل الجاهلية أيضا

ولكن أشركوا فى الألوهية فقط و هذه التفرقة و الحكم بإدعاء المسألة شركا مبتدعة من هذه الفرقة الضالة يرد هذا الدعوى قوله سبحانه و تعالى: حكاية عن يوسف (عليه السلام)

﴿...أ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [سورة يوسف، آية : ٣٩]

فسمى آلهتهم التى يعبدونها من دون الله أربابا. و يقول الله تعالى :

﴿...أ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُوْنَ أَنَّ مَعَ اللّٰهِ آلِهَةً أُخْرىٰ...﴾ [سورة الأنعام، آية : ١٩]

و كذلك ذكر الله تعالى الآلهة فى القرآن أربعة و ثلاثين موضعا بلفظ الجمع و فى أربع مواضيع ذكر الأرباب أيضا بلفظ الجمع من غير تفرقة بين الإله و الرب و كذلك إطلاق السلف و الخلف غير الطائفتين التيمية و النجدية و كانت محاورات العرب أيضا كذلك، ألم تسمع شعر زيد بن عمرو بن نفيل حيث يقول :

أ ربا واحدا أم ألف رب

أ دين إذا تقسمت الأمور

و شعر أمية بن الصلت :

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى

أ دين إلها غيرك الله

ثانيا :

أ ديـــن لـــرب يستــجــاب و لا أرى

أديـن لـمـن لـم يسـمـع الدهر داعيـا

و مثـل هـذا الاستـعـمـال كثيـر فـى الـلغة العربية فى أقوال الـعـرب و لـم يـميـزوا بيـن الإلـه و الـرب فـى الاستعمال و استحقاق الـعبـادة حتى اخترعت هذه الطائفة تلك التفرقة و جعلوا ذلك ذريعة لـلـحـكـم بـأن الـمتـوسـلين بالأخيار و المستغيثين بهم فى الشدائد مشـركـون، لإشـراكهم فى الألوهية و إن كانوا موحـدين فى الربوبية على دعويهم الفاسدة فليحذر متبعو أهل السنة و الجماعة كل الحذر عـن الاقتداء بهم و التقليد لدعواهم و حسن الظن بهؤلاء المبتدعين، حـمـانـا الـلـه مـن جـمـيـع الشـرور و جـعلنا متشبثين بـأذيال السلف الصالحين و الأئمة المهديين . آمين.

العبادات مجرد الوسائل عند المودودي :

قـد تـعـرضنـا إلى معنى العبادة و أنها لا تكون حقيقة إلا لله تـعـالى فكما أن الإله و الرب سلطة و حكومة عـند المودودى و السيد قـطب، فالدين و العبادة عندهما طريقان يؤديان إليها فقط، هذه هى الـفـكـرة المركزية تستولى على جميع العبادات الإسلامية والأركان الأربـعة لـلإسلام (الصلاة و الصوم و الزكوة و الحج) كل ذلك يبدو

له وسائل إلى تلك الغاية و تمرينا عليها و تدريبا لها و قد صرح بذلك كرات و مرات.

يقول في موضع : " هذه هي الغاية التي من أجلها فرض الإسلام عبادات الصلوة و الصوم و الزكوة و الحج و التعبير عنها بالعبادة لا يعني أنها هي العبادة ليس غيره بل معنى ذلك أنها تعد الإنسان لتلك العبادة فكأنها مقررات تدريبية لازمة لها. " (نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية ١٣/١)

فهذه العبارة تدل دلالة واضحة على أن العبادات المشروعة كالصلوات الخمس و الصوم و الزكوة و الحج في الواقع و سائل إلى غاية هي الطاعة و تأسيس الحكومة الإلهية و إعادة التعظيم إلى الحيلة رغم أن القرآن الكريم ينص على أن الجهاد و الحكومة وسيلة و إقامة الصلاة و غيرها من العبادات و مرضات الرب هي الغاية العظمى، اقرأ معنى الآيات في سورة الحج حيث يقول الله تعالى: مؤذنا بإجازة الحرب للطاغين على الدين الحنيفي و دعاته أول مرة و ناسخا للآيات المانعة من الحرب .

﴿أُذِنَ لِلَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيْرٌ * الَّذِيْنَ أُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَنْ يَّقُوْلُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ وَ لَوْلَا دَفْعُ اللّٰهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوٰتٌ وَ مَسَاجِدُ يُذْكَرُ

فِيهَا اسْمُ اللّٰهِ كَثِيرًا وَ لَيَنْصُرَنَّ اللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *الَّذِيْنَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَ آتَوُا الزَّكٰوةَ وَ أَمَرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَ نَهَوْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلّٰهِ عَاقِبَةُ الأُمُوْرِ﴾ [سورة الحج، آية : ٣٩، ٤١]

و من الحقائق التى لا تقبل الجدال و المناقشة أن الوسائل لا تكون علاقة المرأ معها إلا علاقة عادية متحددة فى نطاق الضرورة حتى يصل إلى الغاية، و من الطبعى أن يراها مرحلة انقالية مؤقتة بحيث لا يلازمها و من هناك لا يفكر و لا يجتهد فى أن يتقدم فيها و يتفوق باطمينان القلب و لا تثور فى نفسه عاطفة التذوق و الالتذاذ بحيث يجعلها قرة عينه و معلوم بالضرورة أن النبى ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، رواه أبو داؤد يقول أيضا: و جعلت قرة عينى فى الصلاة، رواه النسائى و قال لسيدنا بلال: يا بلال! أقم الصلاة أرحنا بها كما رواه أبو داؤد و كان ﷺ يصلى و لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء، رواه أبو داود و الترمذى. و يدل القرآن و السنة دلالة واضحة على أن العلاقة مع الله و العبادات المعينة الصلاة وغيرها مطلوبة من العبد رأسا بحيث يكون نصب عينه و يسأل عنها يوم القيامة قبل كل شىء و يستحق العقاب الأليم من تركها أو أهمل فيها، هذا يصرح القرآن الكريم عن محاورة أهل النار.

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّيْنَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِيْنَ﴾ [سورة المدثر، آية : ٤٢، ٤٤]

فهذه الآيات تدل صراحة على أن العبادات و أركان الدين هى العماد فى نظام الدين كله يؤخذ عليها العبد و يحاسبه يوم القيامة و هى سبب النشأة للإنسان كما يدل قوله تعالى :

﴿وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ ﴾ [سورة الذاريات ، آية : ٥٦]

و أما إقامة الحكومة الإلهية و تأسيس المدينة الإسلامية فهى وسائل و فى الدرجة الثانوية فى الدين عند مساعدة الأسباب و الآيات و إذا كانت العبادات حتى الصلوات المفروضة مجرد وسائل و ذرائع فما معنى طول قيامه ﷺ و طول صلاته فى جوف الليل حتى تورمت قدماه؟ و ما معنى ترغيبه فى الإكثار من النوافل؟ حيث يقول : لا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أكون يده التى يبطش بها الخ. (رواه الشيخان)

و ما معنى تعبيره بالرباط عن انتظار الصلاة بعد الصلاة و تنويهه شأن الرجل الذى قلبه معلق بالمساجد من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله. (متفق عليه)

و مدح الله سبحانه و تعالى بقوله :

﴿وَ الَّـذِيْـنَ يَبِيْتُـوْنَ لِـرَبِّهِـمْ سُجَّدًا وَّ قِيَامًا﴾ [سـورـة الفرقان ، آية:٦٤]

و قوله تعالى :

﴿تَتَجَافٰى جُنُوْبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[سورة السجدة، آية :١٦]

مـمـا يـدل عـلـى أن هذه العبادات ليست وسائل مجردة إلى إقـامة الـحـكـومة الإلهية و الاستـعـداد لـلطاعة و الحكم بل هى غاية مـنشـودة و أعمال مقصودة لذواتها و إن جرت أن يصفها بالوسائل فإنها وسائل لمرضاة الله و للتقرب إليه لا غير.

و نتيـجة هـذا التـفـكيـر أنـه يـجـعـل الـمـرأ لا يـنبعـث فـى نـفسه الشعور بالصلة القلبية بالعبادات و لا يتحرك لانشاء الروح و الكيفية الباطنية فيها و لا تثور عاطفة الحصول على صفة الـخشـوع و الـخـضـوع و الاخبات و الاستحضار و الإخلاص لـلـعمل فى القلب لكونها ليست مقاصد بالذات عنده و مع ذلك يبعث لـلـنـاس هـذا التـفـكير على أن يتركوا روح العبادات و هو الإحسان فـالـذى أجاب ﷺ جبريل عليه السلام فى محاورته كما فى الحديث المشهور و التزكية التى بعث ﷺ بها كما قال تعالى:

﴿لَقَـدْ مَـنَّ الـلّٰـهُ عَـلَى الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ بَعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِّنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهٖ وَ يُزَكِّيْهِمْ ...﴾ [سورة آل عمران، آية : ١٦٤]

فاتضح أن العبادات هى أقرب الوسائل إلى الوصول إلى محبة الله و مرضاته و بحسب ما ينال من روحها و يتلذذ بها يزيد القرب و الوصول منه تعالى، و الحكومة و غيرها من الأسباب و الوسائل لذلك القرب، و الأستاذ أبو الأعلى المودودى يجعل ذلك مقلوبا على فكره و يبعث الناس على جعل المقاصد وسائل و الوسيلة مقصودة و يخبط عشواء، حمانا الله من مثل تلك البلوى، آمين .

الأنبياء و عصمتهم عند المودودي :

و قد استشكل إلينا بعض أصدقائنا و أرباب الحكومة من بلاد الخليج بأنا نكفر المسلمين مثل الجماعة الإسلامية و التبليغية و السلفية و ندعى بأن الإسلام محصور فينا، حاشا و كلا، و هذه التهمة و الدعوى ليست فى محلها فإن مسلك سمست كيرالا جميعة العلماء (جميعة علماء عموم كيرالا) الدعوة إلى العقيدة الخالصة لأهل السنة و الجماعة و إلى طريقة السلف الصالحين مع أنا نتمسك بقول اللقاني: " و لا نكفر أحدا يصلى و وجهه قبلتنا يولى " و قول الإمام النفسى فى عقائده "و تجوز الصلوة خلف كل بر و فاجر و يصلى على كل بر و فاجر."

و نبين بكل وضوح بأن مشربنا ما عليه الإمام أبو الحسن الأشعرى (رضى الله عنه) عقيدة و ما عليه الأئمة الأربعة فقها و

حتى أن صاحب "المنار" رشيد رضا من السلفية يقول فى "الوحى المحمدى" تحت عنوان عصمة الأنبياء إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم و يستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا فى نشأة أخرى فلا يتم هذا الغرض و لا تتحق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلا لأن يقتدى بهم فى أعمالهم و سيرتهم و التزام الشرائع و الآداب التى يبلغونها عن ربهم و من ثم قال علمائنا: بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصى و الرذائل الخ. (ص ٣٩)

هذا هو مذهب أهل الحق قاطبة من خير القرون إلى هذا العصر الأخير من أعصار المسلمين رغما على أنف من اتبع هواه من أهل الكتاب و الخوارج المارقة من هذا الدين و من اقتفى أثرهم ممن شذ و فذ.

ثم لنسق إليك عبارة الأستاذ المودودى فى ذلك لتكون على بصيرة من أمره و تحقيقه فى أمور الدين يقول: و هو يبحث عن الإيمان بالرسالة، و الأنبياء فى خطر الوقوع فى شرارة النفس فى أكثر الأوقات، و لهذا نبه الله سبحانه فى موقع للنبى الجليل القدر داؤد عليه السلام .

﴿...وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ [سورة ص ،

آية : ٢٦] (تفهيمات ١/ ١٦٣)

استدل المودودى بهذه الآية بأن الأنبياء فى خطر من شرارة النفس فتسلب العصمة عنهم خلاف ما عليه الأئمة و المفسرون. هذا الإمام الصاوى يقول فى تفسيره: المقصود من نهيه إعلام أمته بأنه معصوم و لتتبعه فيما أمر به لأنه إذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره أولىٰ هـ. (صاوى ٣٥٦ من المجلد الثالث)

و يقول المودودى أيضا: و هو يبحث عن قصة داؤد عليه السلام العصمة للأنبياء ليست من لوازم ذواتهم و لكن الله يحفظهم من الخطايا و الزلات لأجل قيامهم بفرائض النبوة و لو رفع الله عنهم هذه الحفاظة ساعة لكانوا مثل عامة الناس فى الخطأ و الزلات و من لطيف التدبير أن الله يرفع عنهم أحيانا هذه الخاصة حتى يصدر منهم زلة أو زلتان إرادة منه سبحانه و تعالىٰ لكى يظهر أنهم بشر و ليسوا بآلهة اهـ. (٤٣ من الجلد الثانى من التفهيمات)

معاذ الله — كيف يسوغ لمسلم فضلا عن مدعى التجديد للدين هذا القول و هل يحتاج لإظهار الخلق بأن الأنبياء بشر إلى ارتكابهم المعصية رفعا لحفظ الله تعالى عنهم مع أنهم يولدون من الأمهات و ينشأون نشأة الرجل و يأكلون و ينامون و يعاملون معاملة البشر محفوظا من الدنائات و خرم المروات إلى أربعين سنة ثم يبعثهم الله

تعالى و قرنائه و زملائه من غير المتعنتين يشهدون أنهم محفوظون و مأمونون و يموتون كسائر البشر و بعد كل ذلك هل يحتاج لإظهار البشرية إلى ارتكابهم ما يخالف قولهم و دعوتهم من المعاصى و الذنوب التى نهى الله سبحانه عنها و لا يخفى على عاقل أنه ينبنغى ذلك طاهرا عند الناس لكى لا يخفى لديهم بشريتهم فيا للعجب ! كيف يسوغ لمن يتصدى بنفسه تجديدا للدين مثل هذه الحماقة ! .

أليس ذلك اختراعا فى الدين و التهور فى العقائد و يقول أيضا: فى الرسال و المسائل. (١/٣٩٨)

إن لم يتمكن الأنبياء أن يسدوا الباب عن اعتداء الشيطان عليهم خفية فكيف بنا أن ندعى نجاحا كاملا اه .

هذا هو رأى المودودى أن الأنبياء لم يسلموا كاملا عن اعتداء الشيطان و شرارة النفس و هو يصرح أيضا أن داود كان خاطأ و أن يونس عليه السلام وقع من تقصير فى أداء فرائض النبوة و أن موسى كان عجولا و أن آدم وقع فى هوة المعصية لأجل غلبة الحرص و ما إلى ذلك من هفواته منشورة فى تآليفاته .

فبالجملة أن واضع الجماعة الإسلامية لا يؤمن بعصمة الأنبياء على ما هو عليه السلف و الخلف و من الأئمة و يتبع هواه و عقله فـ هذا الأمر و ليت شعرى هل رأى هذه الجراءة على الأنبياء

أخـوانـنـا العربيون فى مقالته المعربة على ألسن أعوانه ؟ حمانا الله عن مثل هذه الآفة فى الدين، آمين .

و قـد اسشتـكـل البـعـض فـى العصمة عن الصغائر مستدلا بـقـول التـفـتـازانـى: فـى "شـرح الـعـقـائد" حيث قال: أما الصغائر فيـجـوز عـمدا عند الجمهور خلافا للجبائى و اتباعه و يجوز سهوا بـالاتفاق فإن هذه العبارة لا يسوغ حملها على ظاهرها فى الشقين كـلاهـمـا لأن أول الـكـلام يوهم أن الجمهور الذين خالفوا الجبائى يشتـمـل الأشـاعرة و ليس كذالك و قد بين ذلك المحشون مثلاً قال مُـلا محمود: فى حاشيته الظاهر أن الجمهور ههنا يشتمل الأشاعرة بـقـريـنة ذكـر الـجـبـائـى فـقـط فـى المقابلة و مذهب الأشاعرة أن الأنـبـيـاء مـعـصـومـون عـن الـكـبـائر مطلقا أى عمداً أو سهوا و عن الـصـغـائـر عـمدا كما صرح به فى "شرح المواقف" فحينئذ لا يصح قـولـه: و أمـا الصغائر فيجوز عمدا عند الجمهور الشامل للأشاعرة فتأمل. (حواشى شرح العقائد ١٠١)

و لـعـل الـمـراد من الجمهور جمهور المعتزلة خلافا للجبائى لـلتوفيق بين كلاميه فى شرح العقائد و شرح المقاصد و كذلك قوله: و يـجـوز سهـوا بـالاتـفـاق إلا أن يحمل كلامه فى الجواز فقط لا فى الوقوع فإن الفرغانى يقول: فى شرح بدء الأمالى و أما الصغائر فإن

كان منها دالا على الخسة كسرقة لقمة فلا خلاف فى عصمتهم منه مطلقا و ما لا يدل على ذلك فالمختار الجمهور أهل السنة عصمتهم عن عمده و أما سهوه فنقل ابن جماعة أن المعصية ضد الطاعة و أن الأنبياء معصومون عن الكبائر و الصغائر عمدا أو سهوا خلافا للحنفية فى سهو الصغائر اه. (فرغانى على بدء الأمالى ٣١)

و لذلك قال العلامة المرجاني: فى حواشى عقائد جلالية و المختار عندنا العصمة مطلقا فيما خلا الصغائر غير المنفرة خطأ فى التأويل أو سهوا مع التنبيه عليه فيما ليس طريق الإبلاغ الخ. (حواشى عقائد جلالية ٢٧٩)

فتحقق أن مذهب أهل السنة العصمة مطلقا عن الكبائر و الصغائر كما بينه التفتازانى نفسه فى شرح المواقف و غيره من المصنفين رحمهم الله كما أشرنا إليه فى مقدمة البحث.

تضليل الأمة و اختراع مسلك جديد :

قد وضح لنا أن الأستاذ المودودى لا يعتقد عن عصمة الأنبياء كما هو عند السلف و الخلف من الأئمة و لنبين لك بحثه عن المسلمين الذين نشأ منهم وورث الإسلام من زمرتهم يقول: و هو يبحث عن المسلمين و أمورهم السياسية فى "سياسى كشمكش" "ليس رأينا عن الإسلام من حيث أنا ولدنا ونشأنا فيه لا أقدر بيان

الحال عن رفقائنا و أنا أصرح عن ذات نفسى أن ما وجدته حولى من دائرة الإسلام ليس لى رغبة فيه و أول ما فعلته بعد ما وصلت إلى صلاحية التنقيد و التحقيق إنى خلعت قلادة المذهب الذى لاروح له وورثته من أكابرى عن عنقى و لإن كان الإسلام ما أجده حول المسلمين فى الوقت لأكونن من الملحدين و اللادينيين لأنه لا ميل لى إلى اتباع الأجداد مريد المحض إقامة القومية إلى آخر ما قاله. (ص ١٥ من الجزء الثالث من سياسى كشمكس)

ثم بعد أسطر يقول بصراحة ووضوح: "فى الحقيقة أنا مسلم جديد آمنت بعد التفحص و التحقيق بما يشهده دماغى و هو أنه لا طريق إلى الصلاح و الفلاح إلا هذا و أنا لا أخص بالدعاء إلى هذا الطريق غير المسلمين و لكن أدعوا المسلمين أيضا إلى الإسلام الخ.

انظر ما يقول هذا الشخص: عن نفسه و إيمانه و الحال أن أجداده و أسلافه كما علمنا من الصالحين و أهل التصوف و الطريقة و المبتعين لطريق السلف الصالحين فأى وجه لخلعه قلادة الإسلام؟ الذى ورثه من أكابره عن عنقه و تجديده الشهادة و تصريحه بأنه مسلم جديد دخل فى الدين بعد التفحص و التحقيق العميق مضللا للأمة بأجمعها و حاكما خروجهم عن دائرة الإسلام و ليس هذا البيان مسامحة و لا مساهلة فى العبارة كما يظن البعض

يتضح ذلك من بيانه فى أول محفل اجتمع لانعقاد هذه الجماعة سنة ١٩٤٢م و تجديده الشهادة عملا و إقراره بأنه أول المسلمين ثم بعد ذلك قام يجدد الشهادة ثانيا صديقه الأول الذى غادره بعد برهة من الدهر محمد منظور النعماني و هاك لنص عبارته فى التقرير الأول.(روداد جماعت إسلامى)

نحن لا نشارك أحدا فى هذه الجماعة لمحض فرض أنه مسلم و لكن متى فهم معنى الكلمة الطبية و لوازمها و مقتضياتها و لوازمها و تجدد الشهادة نشاركه فى الجماعة (ص ٧ منه) و بعد تصريح خطبته الطويلة تتبع الرسالة هكذا ثم بعد البيان قام المودودى أولا و نطق بالشهادتين و صرح و نادى يا قوم! اشهدوا بأنى أجدد الإسلام و الإيمان و أشارك فى هذه الجماعة أولا و بعده قام محمد منظور النعمانى و جدد الشهادة كالمودودى و أعلنه و أيضا صرح المودودى عن نهج طريقه و جماعته قائلا: و أصرح أخيرا بوضوح أن لى مسلكا خاصا فى الفقه و علم الكلام اخترته من تحقيقى الذاتى يفهم ذلك قراء ترجمان القرآن من ثمان سنين .(ص ٢٤ منه)

تبين من خلال بيانه الأهم أنه تفحص و تحقق مسلكا و طريقا جديدا يظن أنه الدين الحق و غادر و خلع طريق المسلمين الذى هم عليه من خير القرون و ورثوه عن أسلافهم كابرا عن كابر

بعد ما تيقن أن ذلك ضلالة و إلحاد و لادينية و هل هو إلا تضليل للأمة و اختراع مسلك جديد حسب أفكاره و آرائه و مع ذلك يلزم رفقائه و متبعي مسلكه و المشاركين في جماعته لقراء ة رسائله و آرائه بكل حزم و جد يقول: في الرسالة المذكورة و من دخل في حوزة الجماعة أو رافقه يطالع به من رسائل التحريك القدر الوافي ليكون عونا للوقوف لجميع جهات التحريك و لا يترك واحد يظن أنه يعلم الجميع قبل (ص ٣٢ منه) ثم يقول: في الصفحة التالية و أي شيء ينشر عن التحريك جديدا يطالعه بها أيضا اه. (ص ٣٣)

ثم نمشي معه نعتبر مسلكه بعد ما غادر طريقة أجداده و من غبر من هذه الأمة يقول: ثم علينا أن ندون علوم القرآن و الحديث و الفقه و تاريخ الإسلام و كذلك العلوم العصرية يدون جديدا على نقطة النظر الإسلامي (ص ٤٧ منه) و إذ قد وصلنا إلى هذه المرحلة يتضح لكل متأمل أنه يريد تبديل جميع العلوم الإسلامية التي وجد عليها الأمة على نمط جديد حسب رأيه و عقله بعد رفض العلوم المدونة في الفقه و العقائد و التفاسير و الأحاديث المتسلسلة من خير القرون و وجد ذلك ضلالة الأمة و زيغهم عن نهج الهداية يا هذا! و هل هذا إلا عين دعوى الخوارج و القدرية مثل النظام و غيره من أنه يجوز إجماع الأمة على ضلالة خلاف ما بشره النبي الأمين

ﷺ أن الله لا يجمع أمتى على ضلالة، رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما .

و نريد لفت نظر القراء إلى ما اخترعه من تعريفات مصطلحات القرآن كما أوردنا قبل ثم أنه يورد الدين مسلكا انقلابيا سياسيا حسب فهمه و رأيه حيث يقول: ليس الإسلام اسم مذهب خاص و المسم رسم قوم خاص ولكن الإسلام مسلك انقلابى يريد تبديل النظم الاجتماعى فى العالم جميعا و يعمرها مطابقا لمسلكه و نظريته و المسلم من بين الأقوام رسم جماعة الانقلابية ثورية تنظم الأعمال على برنامج الانقلاب المطلوب والجهاد صرف الطاعة التامة و الجد و الجهد لتحصيل هذا المقصد عملا اختاره الإسلام رسما اصطلاحيا تركا للألفاظ العامة المتداولة عند سائر أرباب الثورة و الانقلاب إلى آخر ما أورده فى التفهيمات. (ص٦٢ ج ١)

و يقول أيضا : و ليس دعوة التوحيد و العبادة فى الإسلام بمعنى سائر الأديان و المذاهب ولكن فى الحقيقة دعوة اجتماعية انقلابية (Social Revolution) ص ٦٨ / ١) ثم يعرب عن الأنبياء فى الصفحة التالية ، و لا شك فى أن الأنبياء كلهم رء وساء الثورة و سيدنا محمد ﷺ أكبر رئيس انقلابى ثورى (Revolutionist) ص٢٩ منه و يقول أيضا فى تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ.... ﴾
[سورة النساء، آية :١٦٣]

و قد أتى رسل الله بكتب من عنده إلى جميع نواح الأرض و لا بد أن يكون بوده و كرشن و رام وكنفيوششن و زردشت و مانى و سقراط و فيثاغورث من هؤلاء الرسل الذين بعثهم الله بكتب من عنده إلى الأمم . (ص ١٠٣/ ١)

يا للعجب! نرى يعد رؤساء الفلاسة الذين يثبتون قدم العالم و ينكرون الصانع و الذين يدعون بالتناسخ و الحلول و تعدد الآلهة و يعبدون النار والأوثان و السيارات مثل سقراط و فيثاغورث و مانى و زردشت و شرى رام كرشن من الرسل الأمناء المعصومين الكرام الذين بعثوا لهداية الخلق إلى التوحيد و نشرها أليس ذلك خبط عشواء.

و بالجملة أن المودودى ضلل الأمة و انخلع بنفسه عن دائرة الإسلام كما ترى ثم أسس جماعة سماها عين الإسلام و شرط لها شروطا خاصة منها تجديد الشهادة من دون فرق بين المسلمين و غيرهم للدخول فى تلك الجماعة و نصب لها قانونا معروفا بدستور جماعت إسلامى و دون تأليفات و ألزم لكل مرافقها مطالعتها تاركا زبر الأولين من السلف الصالحين و غلط السلف من الصحابة و من

بعدهم فى فهم المصطلحات الدينية و سمى الأنبياء أصحاب ثورة و مسلك الإسلام ثورية و العمل على نظامه و برنامجه جهادا فى سبيل الله و ألجأ القارئين و المطالعين تأليفه للظن بأرباب الثورة واللادينية المخترعة أنبياء على اسم انقلاب و الثورة و هل تلك الدعوى إلا اختراع مسلك جديد على رأيه و تبديل صبغة الإسلام بصوغه فى لون جديد حسب ما يقره أرباب الثورة و الانقلاب على اغترار تجديد الجيل و ارتقاء الإنسانية ــ حمانا الله من مثل تلك البلوى و رزقنا اتباع السلف و الخلف من الأمة المرحومة. آمين.

هل الملائكة إله و آلهة؟

الملائكة عباد الله العاملون بأمره خلقوا من نور و لهم أجسام نورانية بأشكال حسنة مختلفة و لكن لا يوصفون بذكورة و لا أنوثة و ليس لهم أوصاف البشرية و هم معصومون عن الكفر و المعاصى كما قال سبحانه و تعالى :

﴿...لا يَعْصُوْنَ اللّٰهَ مَا أمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ﴾ [سورة التحريم، آية : ٦]

هذا هو اعتقاد أهل الحق من المسلمين كما ذكر ذلك الإمام النسفى رحمة الله عليه و غيره و لكن الأستاذ المودودى بفكرته المخترعة و نظره المنحرف يقول: فى رسالته "تجديد و إحياء دين"

المطبوعة فى المحرم سنة ١٣٦٠ الهجرية الموافق لفبراير سنة ١٩٤٠ الميلادية فى مطبعة رام بور فى صفحتها الثالثة عشرة الملائكة فى اصطلاح الإسلام ما يعتقد و يدعو اليونانيون و الهنادك فى بلادهم باسم الإله و الآلهة تقريبا " و لا يخفى على من له أدنى خبرة أن الهنادك يعتقدون الإله والآلهة ذكورا و إناثا كما أن اعتقادهم عن الإلهات أنهن زوجات المعبودين عندهم و يستعملون لذلك فى لغتهم باسم "ديوى و ديون" و يعرفون "ديوى" بأنها زوجة الإله و زوجة شون و غير ذلك، و هل ذلك اعتقاد المسلمين عن الملائكة أليس ذلك اختراعا فى الدين و اعتداء على عقيدته و قد أنكر الله تعالىٰ فى محكم التنزيل من يدعى أنوثة الملائكة بقوله:

﴿وَ جَعَلُوا الْمَلآئِكَةَ الَّذِيْنَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا أَ شَهِدُوْا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُوْنَ﴾ [سورة الزخرف، آية : ١٩]

و نحن نسأل هذا الشخص هل شهدت خلق الملائكة أو شاهدت الإناث منهم حيث تدعى أنهم إله و آلهة ــ حاشا ــ و كيف يجترى مسلم لمثل هذه الدعاوى من غير دليل من الكتاب و السنة .

الإيمان بالقدر و بيانه :

يعتقد المسلمون أن أركان الإيمان ستة كابرا عن كابر و الأمر مستفيض شرقا و غربا فقد روى مسلم ابن الحجاج فى

صحيحة حديث جبريل الذى كاد أن يكون متواترا عن يحيى بن يعمر، قال: اول من قال : فى القدر بالبصرة معبد الجهنى فانطلقت أنا و حميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا: أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر: فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا فى المسجد فاكتنفته أنا و صاحبى أحدنا عن يمينه و الآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلى فقلت : يا أبا عبد الرحمن أنه قد ظهرت قبلنا من يقرؤن القرآن و يتقعرون العلم و ذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر و أن الأمر أنف قال : إذا لقيت أولئك فاخبرهم إنى برىء منهم و هم براء منى، و الذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر و لا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه و وضع كفيه على فخذيه و قال: يا محمد! أخبرنى عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و تقيم الصلاة و تؤتى الزكاة و تصوم رمضان و تحج

البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله و يصدقه وقال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله و ملائكته وكتبه و رسله و اليوم، الإيمان و تؤمن بالقدر خيره و شره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال :أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤل عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها و أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي: يا عمر! أ تدري من السائل؟ قلت: الله و رسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. (مسلم باب الإيمان)

روى هذا الحديث أصحاب الصحاح جميعا باختلاف بعض الألفاظ مع الاتفاق في عدد أركان الإسلام و الإيمان.

انظر استدلال متبع السنة عبد الله بن عمررضي الله تعالىٰ عنهما من الحديث الرد على منكري القدر و كيف انكرهم بقوله: إذا لقيت أولئك فأخبرهم بأني بريئ منهم إلى آخره و اعتبر قوله ﷺ : لعمر فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم يشير أن عمدة أركان الدين هذه الثلاثة يعني الإسلام و الإيمان و الإحسان و هذا هو اعتقاد المسلمين كابرا عن كابر و لكن الأستاذ المودودي يقول: في رسالته

المسماة بـــ "رسـالة ديـنيـات" التى ألفها لتعليم الطلاب فى المرحلة الثـانوية أمورهم الدينية بعد ما عدد الأمور الخمسة الأول قد أشرت قبل أن النبى ﷺ أمرنا بالإيمان بهذه الأمور الخمسة ـ هذا ـ و لما طبعـت ترجمته و نشرت على يد أمير الجماعة سابقا بكيرالا انتقده الـعـلـماء فى نواحينا بعد أركان الإيمان خمسة فقط، و بينوا أن ذلك خـلاف الـمعهود من عهد الرسالة فكتب المترجم إلى أبى الأعلى تلك الـواقـعة فـكـان يـنبـغـى عـليه أن يسدد الخلل و يعترف بأن أركان الإيـمان أمور ستة، عند أهل الحق و لكن المودودى لم يتصد لذلك و لـكـن كتـب إليـه الـجـواب كـمـا يلى و نشرت فى الطبعة التـالية و هو يقول: و بينت أركان الإيمان خمسة مستدلا بقوله تعالىٰ :

﴿آمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهٖ وَ الْمُؤْمِنُوْنَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَـلآئِكَتِهٖ وَ كُتُبِهٖ و رُسُلِهٖ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهٖ...﴾ [سورة البقرة، آية : ٢٨٥]

و بقوله:

﴿... وَ مَـنْ يَّـكْفُرْ بِاللّٰهِ وَ مَلآئِكَتِهٖ وَ كُتُبِهٖ وَ رُسُلِهٖ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيْدًا﴾ [سورة النساء، آية : ١٣٦]

و لا شك أنه ثبت فى بعض الأحاديث الإيمان بالقدر فيكون الأركـان ستة بدل الخمسة و لكن الحقيقة أن الإيمان بالقدر جزء من

الإيمان بالله و قد بين فى القرآن كذلك، و لذلك أدرجت الإيمان بالقدر فى بيان تفصيل الإيمان بالله ، تفكروا كيف اجترأ بأخذ أركان الإيمان مقتبسا من القرآن برأيه خلافا ما أمره الرسول و بخلاف تصديق جبريل الذى أتاهم لتعليم الصحابة دينهم أليس ذلك اختراعا و ابتداعا خلاف ما عليه أهل الحق تمشيا على نهج القدرية المنكرين للقدر من اتباع معبد الجهنى و أحزابه، و أما قول: إدراج الإيمان بالقدر فى بيان الإيمان بالله أيضا مضحكة فإن بعض أعوانه الذى رد على المنتقدين بلسان المليبار انتصر له بقوله: ادخل الإيمان بالقدر فى صفة القدر لله تعالى .

و لا يخفى على من له أدنى علم فى العقيدة أن تعلق القدر بالمقدور ليس بمعنى القدر لأن معنى القدر كما يفهم من الحديث تقديره تعالى أى تحديده كل مخلوق بحده الذى يوجد من حسن و قبح و نفع و ضر و ما يحويه من الزمان و المكان فإن كل ذلك يجرى على حسب تقديره تعالى فى الأزل بخلاف القدرة فإنها صفة أزلية قائمة بذاته تؤثر فى المقدورات عند تعلقها بها كما بين ذلك المحقق التفتازانى فى شرح العقائد النسفية وغيره .

تكفير المسلمين :

اشترط الأستاذ المودودى و جماعته فى قانونهم المطبوعة

للدخول فى جماعته تجديد كلمتى الشهادة مع العلم والاعتراف بلوازمها و بكل ما يدخل فى ضمن الإثبات و النفى فى كلمة التوحيد تفصيلا و لم يفرق فى هذا الشرط بين المسلم و الكافر و بين مع ذلك لا ندخل فى هذه الجماعة أحدا ممن يعد مسلما لأنه نشأ فى بيت المسلمين أو يعرف باسم المسلمين. (دستور جماعت إسلامى ١٩)

و لكن يجب عليه الإقرار و التلفظ بكلمتى الشهادة مستوفيا لهذه الشروط و مع ذلك يتسائل فى رسالته " الخطبات" و هل يكون أحد مسلما لكونه ولد مسلم أو حفيده، حاشا لا يكون أحد مسلما بالولادة. (خطبات بلسان مليالم ٣)

و لا يخفى أن هذه الفتيا خلاف النص و الإجماع يقول سبحانه و تعالى:

﴿ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ... ﴾ [سورة الطور، آية: ٢١]

و حول هذه الآية بين الإمام فخر الدين الرازى فى التفسير الكبير. (٧ ص ٦٧٣، الشيخ زاده ٢ / ٤٠٢)

والحافظ العلامة ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (١ ص ٤٣) وغيرهم من المفسرين و المحدثين بأنه إن كان واحد من الوالدين مسلما عند العلوق يحكم بإسلامه بالإجماع و ثبت ذلك فى

كتب الفقه المعتبر مثل تحفة المحتاج للعلامة ابن حجر الهيتمى (٦/٣٥٢) و نهاية المحتاج للعلامة شمس الدين الرملى (ج ٤ ص ٣٣٣) و مغنى المحتاج للخطيب الشربين (ج ٢ ص ٤٢٣) فعلم أن دعواه بأنه لا يكون أحد مسلما بالولادة مخترعة فى الدين و الجماعة التى تشترط للدخول فيها هذا الشرط مبتدعة محدثة و قد أرشدنا صاحب الشريعة ﷺ من أحدث فى ديننا هذا ما ليس منه فهو رد. رواه البخارى و قال ﷺ: ما بال أناس يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله من اشترط شرطا ليس فى كتاب الله فليس له و إن شرط مائة شرط. رواه البخارى أيضا و هل شرط أحد من السلف و الخلف للدخول فى حوزة الإسلام أن يقر الكلمة الطبية مع العلم و الاعتراف بلوازمها و ما يتضمن النفى و الإثبات تفصيلا، حاشا و كلا ــ هذا دين جديد و إزراء بالمسلمين الذين نشأوا من بيوت المسلمين .

و يكفر أيضا جمهور المسلمين و ينسب إليهم الشرك بالأفعال التى يتوارثون بينهم كابرا عن كابر مثلا يقول: فى تجديد وإحياء دين يتعاطى المسلمون بدل عبادة المشركين عبدة الأصنام الفاتحة و الزيارة و النذور وا لتبرك و العروس و تغطية المقابر بالكسوة وغير ذلك من الشرائع الجديدة و يسجلون من موالد

المعظمين و وفياتهم و كراماتهم و خوارقهم و تصرفاتهم و قدرتهم على التصرفات و قربهم إلى الله تعالىٰ مثل ما للمشركين عن خوارق معبودهم و يقربون مع أولئك المعظمين باسم التوسل و الاستغاثة و تسخير الروحان و الطريقة بما لا يعامل إلا مع الله خالصا. (مختصرا من تجديد و إحياء دين ١٧)

يا ترى! الأستاذ المودودى يعد الزيارة و التوسل و التبرك و غير ذلك من السنن مشابها لعبادة المشركين أوثانهم أليس هذا إزراء لعصبة جمهور المسلمين الذين يعتادون لهذه السنن معتقدين أنها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

و كذلك يتأسى الخوارج فى دعواتهم بكفر مرتكبى الذنوب يقول: فى الخطبات ليس مسلما من لم يحج فى عمره و لم يعزم الحج فى قلبه عمره و الدعوى بأنه مسلم كذب و المفتى بإسلامه جاهل عن القرآن. (خطبات ص ١٨٦)

و هذه هى دعوى الخوارج بعينه حيث يكفرون مرتكب الكبائر، يقول سبحانه و تعالىٰ:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوْا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوْا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا...﴾ [سورة الزمر، آية : ٥٣]

و يقول أيضا:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزال، آية : ٧،٨]

و يقول الرسول الأمين ﷺ : فيما رواه أبوذر ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت : و إن زنى و إن سرق، قال: وإن زنى و إن سرق، قلت: و إن زنى و إن سرق، قال: و إن زنى و إن سرق، قلت: و إن زنى و إن سرق، قال: و إن زنى و إن سرق على رغم أنف أبى ذر، متفق عليه. (مشكاة ١٤)

فتبين من ذلك كله أن الأستاذ المودودى و جماعته يكفر جمهور المسلمن باسم تجديد الدين و ارتكاب المعاصى و يدخل فى جماعته من يجدد الشهادة على ما شرطه هو .

المسيح الدجال و شبهة الرسول :

خروج المسيح الدجال أمر عظيم ينتظره المسلمون و من إشراط الساعة التى علمها الرسول ﷺ و أنذر عنه النبيون قال الإمام النفسى، فى عقائده: و أما ما أخبر به النبى ﷺ من إشراط الساعة من خروج الدجال و دابة الأرض و يأجوج و مأجوج و نزول عيسى من السماء و طلوع الشمس من مغربها فهو حق، و المحقق التفتازانى يقول : فى شرحه بعد ما ساق حديث حذيفة و الأحاديث الصحاح فى هذه الأشراط كثيرة جدا فقد روى أحاديث و آثار فى

تفصيلها و كيفياتها فليطلب من كتب التفسير و السير و التواريخ فأحاديث الدجال كثيرة مستفيضة بحيث لا يشك فيها مسلم و لذلك ندعو و نعوذ من شره فى الصلوات بعد التشهد حتى أنه عد ذلك من الواجب بعض العلماء و الأستاذ المودودى لما سئل عنه أجاب بأن المسيح الدجال وغيره قصة مختلفه لا أصل له فى الشريعة و لا حاجة لنا إلى تفحص مثل هذه الأمور و ما شاع بين المسلمين عن ذلك ليس له دليل معتمد فى الإسلام. (رسائل و مسائل ١-٤٢)

و لما نشرت هذه المقالة سأله البعض مستشكلا بأنه روى مسلم و البخارى و الترمذى و أبو داود و البيهقى و غيرهم من الأحاديث زهاء ثلثين عن أمر الدجال فكيف تنكر المسيح الدجال؟ و أى وجه للحكم بأنها قصة مختلفة لا أصل لها؟ فأجاب ثانيا و ماجاء عن الرسول ﷺ فى هذا الأمر قياساته فى الأصل و النبى ﷺ ما زال فى شك فى ذلك، فإنه قال: أنه يخرج من خراسان و تارة من أصفهان و تارة من الشام و العراق و تارة قال: أنه ابن صياد الذى ولد فى السنة الثانية أو الثالثة من الهجرة إلى آخر ما قال: ثم يقرر أنه يظهر من هذه الترددات لم يقل النبى ﷺ: ذلك بطريق الوحى و لكن بحسب ظنه و لا ينقص فى منصب النبوة تخلف ظنه فى مثل ذلك، الخ. (رسائل و مسائل ١-٤٤)

أ ليس هذا اجتراء على صاحب الشريعة، انظر ذلك مع ما قرره الإمام النسفى و الشارح كما أشرت أولا ثم تفكر كيف جمع المحدثون الأحاديث المختلفة يقول الحافظ العسقلانى: فى شرحه فتح البارى على صحيح البخارى قال القاضى عياض: فى هذه الأحاديث حجة لأهل السنة فى صحة وجود الدجال و أنه شخص معين يبتلى به العباد و يقدره على أشياء كإحياء الميت الذى يقتله و ظهور الخصب و الأنهار و الجنة و النار و اتباع كنوز الأرض له و أمره السماء فتمطر و الأرض فتثبت و كل ذلك بمشيئة الله ثم يعجزه الله فلا يقدر على قتل ذلك الرجل وغيره ثم يبطل و يقتله عيسى بن مريم، و قد خالف فى ذلك بعض الخوارج و المعتزلة و الجهمية فانكروا وجوده و ردوا الأحاديث الصحيحة و ذهب طوائف منهم كالجبائى إلى أنه صحيح الوجود لكن كل الذى معه مخاريق و خيالات لا حقيقة لها و ألجأهم إلى ذلك أنه لو كان ما معه بطريق الحقيقة لم يوثق بمعجزات الأنبياء و هو غلط منهم لأنه لم يدع النبوة فتكون الخوارق تدل على صدقه و إنما إدعى الإلهية و صورة حاله تكذبه لعجزه الخ. (فتح البارى ١٣ ص ٩٠)

و قال أيضا : ثم قال البيهقى فيه : أن الدجال الأكبر الذى يخرج فى آخر الزمان غير ابن صياد و كان ابن صياد أحد

الـدجـاليـن الكذابين الذين أخبر ﷺ خروجهم و قد خرج أكثرهم و كـان الـذيـن يـجـزمـون بـأن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم. اهـ (منه ١٣ ص ٢٧٨)

و قـال أيـضـا : قـولـه : في بعض طرقه أن يخرج و أنا فيكم فـأنـا حـجيـجة فـإنــه مـحمول على أن ذلك قبل أن يتبين لـه وقت خـروجـه و علاماته فكان يجوز أن يخرج فى حياته ثم بين بعد ذلك حاله ووقت خروجه فأخبر به فبذلك تجتمع الأخبار. (١٣ ص ٨١)

فتـحـقـق بـذلك البحث وغيره من توجيه العلماء الأعلام من أهل الحديث و الكلام أن النبى ﷺ ليس فى شك من أمر الدجال أو غيـره من أشراط الساعة و الأمور المغيبات و إن ما وقع من الترديد فى مكان خروجه و أنه ابن صياد أو غيره قبل إعلامه بالوحى أمره ثـم تبيـن لـه بالوحى أنه غير ابن صياد و أنه يخرج من قبل المشرق جـزمـا نـص على ذلك البيهقى حيث قال: ليس فى حديث جابر أكثر مـن سـكـوت النبى ﷺ على حلف عمر فيحتمل أن يكون النبى ﷺ كـان متـوقـفـا فـى أمـره ثـم جـاء التثبـت مـن الله بأنه غيره على ما يـقتضيه قصة تميم الدارى و به تمسك من جزم بأن الدجال غير ابن صياد و طريقه أصح و تكون الصفة التى فى ابن صياد و افقت ما فى الـدجـال قـلـت قـصة تميم أخرجه مسلم من حديث فاطمة بنت قيس

الخ. (فتح البارى ١٣ ص ٢٧٨)

وأما عن مكانه فيقول الحافظ: و أما من حيث يخرج فمن قبل المشرق جزما اه. (منه ١٣- ٧٧)

و حديث فاطمة بنت قيس كما أشار إليه الحافظ أسوق لك بعضه لأن الحديث طويل قالت: خطب رسول الله ﷺ و قال: جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع و أسلم و حدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلثين رجلا من لحم و جذام فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ثم ارفأوا إلى جزيرة فى البحر حين مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: و ما الجساسة؟ قالت: يا أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه على خبركم بالأشواق قال: لما سمعت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا و أشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبين بالحديد، فقلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى فاخبرونى ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة

بحرية فصادفنا البحر حتى انعلم فلعب بنا البحر شهرا ثم ارفأنا إلى جزيرتك هذه فجعلنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب إلى أن قال : فى آخر الحديث و إنى مخبركم عنى أنا المسيح الدجال و إنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة و طيبة فإنها محرمتان على كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحد منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها، و إن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت : قال رسول الله ﷺ : و طعن بمخصرته فى المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعنى المدينة، ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم فأعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه و عن المدينة و مكة إلا أنه فى بحر الشام و بحر اليمن لا من قبل المشرق قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ اه هذا الحديث يصرح أن بيان تميم يوافق ما أخبره النبى قبل قدومه و هو إشارة إلى أن ذلك بعد إعلامه تعالى بخبر الدجال مفصلا و ليس فى ذلك شك و لا ريب كما ادعى الأستاذ المودودى.

ثم دعواه أن اخباره ﷺ عن الدجال ليس بطريق الوحى لكن بحسب ظنه معبرا عنه بأن ذلك قياساته و القياس مترادف الاجتهاد كما لا يخفى و قد استدل بعض أعوانه لذلك بجواز الخطأ

عليه فى الاجتهاد بالشرعيات و هاتين الدعويين أعنى بجواز الخطأ في الاجتهاديات و إخباره بالظن فى مثل هذه الأمور أبطله العلماء الفحول أيضا، يقول العلامة علي القارى : فى شرحه على "الشفا" للقاضى عياض رحمه الله لعصمة النبى ﷺ من الخطأ فى الاجتهاد فى الشرعيات و أما القول بأنه قد يخطأ و ينبأ عليه فمما لا يلتفت إليه. (شرح الشفا ٣ ص ٢١١)

و يقول أيضا : و أما ما تعلق بعقده (بجزم قلبه) من ملكوت السماوات و الأرض و خلق الله و تعيين أسمائه الحسنى و آياته الكبرىٰ و أمور الآخرة و أشراطها و أحوال السعداء و الأشقياء و علم ما كان و ما يكون مما لم يعلمه إلا بوحى فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم به معه شك و لا ريب بل هو فيه على غاية اليقين الخ. (منه ٣ / ٢١٢)

فدعواه بأن النبى ﷺ لم يزل فى شك من هدا الأمر الذى هو من أشراط الساعة باطلة مردودة عليه .

و يقول الإمام السبكى : فى "جمع الجوامع" و الصواب أن اجتهاده لا يخطئ تنزيها لمنصب النبوة على الخطأ فى الاجتهاد و قيل : قد يخطئ و لكن ينبأ عليه سريعا لما تقدم فى الآيتين و لبشاعة هذا القول عبر المصنف بالصواب و يقول العلامة العطار :

معلقا عليه عبر المصنف بالصواب إشارة إلى أنه مقابلة غير صواب. (حاشية العطار على الجمع ج ٢ ص ٤٢٦)

فإذا كان ذلك حاله ﷺ فى الأمور الاجتهاديات فما ظنك عن قياسه و أخباره عن الآيات الكبرى و أشراط الساعة و كيف يسوغ لمسلم أن يجترأ على منصب النبوة أنه تعالى ترك نبيه على الشك فى مثل ذلك، و قال العلامة أحمد الصاوى: فى تفسيره و الحاصل أنه اختلف هل يجوز على النبى ﷺ الاجتهاد فى غير الأحكام التكليفية الصادرة من الله تعالىٰ أو لا يجوز؟ و الصحيح الأول و لكنه فى اجتهاده دائما مصيب. (صاوى ج ٢ ص ١٥١)

هذا ما عليه أهل الحق من العلماء و الأئمة رغما على أنف من شذ و فذ و لنتذكر أن من أوصاف المؤمن أن لا يرتاب فى صاحب الرسالة و لا ينسبه إلى الشك و الريبة و لقد أرشدنا الله إلى ذلك بقوله :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللّٰهِ وَ رَسُوْلِهٖ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوْا وَ جَاهَدُوْا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ أُوْلٰٓئِكَ هُمُ الصَّادِقُوْنَ﴾ [سورة الحجرات، آية: ١٥]

و قال تعالى :

﴿... لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ﴾

[سورة يونس، آية : ٩٤]

و قال تعالى أيضا :

﴿وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [سورة التكوير، آية : ٢٤]

هدانا الله لنهج الصواب، آمين.

هذا و قد جزم النبى ﷺ بصراحة على الدجال حيث روى أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ما من نبى إلا وقد أنذر أمته الأعور الدجال إلا أنه الأعور الكذاب إلا أنه الأعور و إن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر (البخارى)

و عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : أن الله لا يخفى عليكم إن الله تعالى ليس بأعور و إن مسيح الدجال أعور عين اليمنى كان عينه عنبة طافية، فليتنبه المنكرون مثل القاديانية و اتباع أبى الأعلى لمثل ذلك الأحاديث.

هل الإمام المهدى من رؤساء الثورة؟ :

كتب الأستاذ المودودى فى رسالته "تجديد و إحياء الدين" من صفحة ٣١ إلى ٣٣ آرائه المخترعة عن الإمام المهدى المنتظر حيث يقول : أن الذى يجئ مهديا يكون رئيسا سياسيا جديدا من أهل الثورة و يبين عن مقدمة الموضوع هكذا.

حينما يستغرق فكر العالم و آرائه فى الأمور السياسية و

الأمارة يظهر فيهم الثورة تحت إمارة رجل ذى قوة و شجاعة ولعل من يخالف تجديد هذا الرجل و ينكره أولا المولويون و الصوفيون و ما أظن يعلن بأنى مهدى موعود و تارة لا يعلم هو نفسه بأنى مهدى و يظهر ذلك بعد موته الخ.

و لما استشكل البعض عن هذه المقالة بورود الأحاديث الصحاح عن ذلك أجاب فى رسائل و مسائل قائلا : لا أتوقع أن الرسول ﷺ يقول ذلك و يظهر لى من مطالعة القرآن لم يسمع النداء من السماء عند مبعث نبى أنه نبى فضلا عن المهدى، حيث يقال : و ينادى ملك هذا خليفة الله المهدى فاستمعوا و أنصتوا .

انظر تلك المقالة عن العلامة التى ينتظرها المسلمون من أمارات الساعة و عن الإمام الذى يؤم روح عيسىٰ عليه السلام فى الصلاة حينما ينزل من السماء، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى. رواه الترمذى و فى رواية له يواطئ اسمه اسمى و اسم ابيه اسم أبى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جوراء اه. و عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهدى من عترتى من أولاد فاطمة، رواه أبو داود و عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قصة المهدى قال : فيجئ إليه الرجل

فيقول : يا مهدى! اعطنى اعطنى قال : فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله. (الترمذى)

و عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج المهدى و على رأسه ملك ينادى أن هذا المهدى فاتبعوه. (الخطيب، أبو نعيم)

و عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم الرايات السود قد جاء ت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خيفة الله المهدى. (أحمد و البيهقى)

و عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا و يملك سبع سنين.

هذه زبدة من الأحاديث التى جاء ت فى أمر المهدى المنتظر مع أنه جاء فى بعض الأحاديث أن روح الله عيسىٰ يصلى خلف الإمام المهدى مؤموما يقول العلامة العينى : فى "عمدة القارى شرح صحيح البخارى" يحاصر الدجال المؤمنين ببيت المقدس فيصيبهم جوع شديد حتى يأكلوا أوتار قسيهم و بينما هم كذلك إذ سمعوا صوتا فى الغلس فإذا عيسىٰ عليه السلام قد نزل و تقام الصلاة و يرجع إمام المسلمين و يقول عليه السلام: تقوم فلك أقميت الصلاة فيصلى بهم تلك الصلاة ثم يكون عيسى الإمام بعده الخ. (عمدة القارى)

و قد روى هذه الواقعة الإمام مسلم و أحمد و ابن ماجه و ابن خزيمة و غيرهم و عند أحمد من حديث جابر فيقال : تقدم يا روح الله! و يقول : ليقدم إمامكم فليصل بكم و لابن ماجة و كلهم ببيت المقدس و إمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلى بهم إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكس ليقدم عيسىٰ و يقف عيسى بين كتفيه ثم يقول : تقدم فإنما لك أقيمت اه .

هذا، و مع ذلك يقول الأستاذ المودودى : لا أتوقع أن الرسول يقول كذلك و يقول : يظهر له من مطالعة القرآن لم يسمع النداء عند مبعث نبى فكيف يسمع ذلك لظهور المهدى ؟ كل ذلك يتبع عقله و يقتفى رأيه و لا يبالى ما خالف فكره و لو ثبت فى الأحاديث الصحاح . و هل ذلك إلا ابتداع فى أمور الدين، حمانا الله منه.

عن تفسير القرآن :

أنزل الله تعالىٰ كتابه على لسان جبريل عليه السلام لصفيه و خيرة خلقه محمد صلى الله عليه وسلم على حسب الواقعات والأحوال مقطعة فى ثلث و عشرين سنة و وكل لتفسيره النبى الأمين المعصوم و لم يدع سبيلا لتحريف الغالين و لا لتأويل المنحرفين حيث يقول تعالىٰ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر، آية: ٩]

و بشر تعالیٰ نبیه بقوله :

﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [سورة القيامة، آية:١٦،١٩]

هذه بشارة عظيمة بقوله تعالیٰ :

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾

و هی نعمة جسيمة حيث لم يترك أمته للتحير فی مقاصده و لا لتحرف مفاهيمه و قد أفاض الله علی نبيه و صفيه ذلك البيان ثم أرشد الأمة بقوله تعالیٰ:

﴿ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ ﴾ [سورة النحل ، آية : ٤٤]

فتفسير القرآن و تعليمه و بيانه فی ذمة النبی ﷺ و قد نقل عنه ذلك خير القرون سيما الصحابة رضوان الله تعالی عليهم، و علی رأسهم مثل حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضی الله تعالی عنهما الذی دعا له النبی ﷺ حيث يقول : ضمنی النبی ﷺ إلی صدره فقال : اللهم علمه الحكمة، و فی رواية اللهم علمه الكتاب (رواه البخاری) و أثبت المفسرون عن الصحابة بيانه ﷺ خلفا عن سلف و علی مقدمتهم العلامة المفسر ابن جرير الطبری

(٢٤٤–٣٢٠ هجرية)

و أمثاله و من الخلف العلامة أحمد الصاوى و العلامة سليمان الجمل و من حذا حذوهم نفعنا الله بعلومهم فى الدارين، آمين.

و الأستاذ المودودى يقول : فى رسالته التنقيحات " لا يؤخذ علوم الإسلام من الكتب القديمة و لكن بعد ما يترك ما أدخله الخلف يؤخذ الأصول الثابت و العقائد الصحيحة و الأحكام التى لا تتغير : و علوم القرآن و الحديث مقدم على الكل و لكن لا يكون ذلك من ذخائر كتب التفاسير و الأحاديث القديمة. (تنقيحات ١٣٣)

و لا يخفى أن علوم التفاسير و الأحاديث قد دونت فى القرون الثلاثة الأولى خير القرون و على نمط ذلك ازداد المفسرون خلفا عن سلف و عن ذلك يقول الأستاذ المودودى: لا يعتمد عليه و لا يؤخذ منه و يقول أيضا: و قد قرأت الكتب القديمة من التفاسير و شروح الأحاديث و لكن ليس فيها ما يشفى لحل مشاكل الطلاب الذين يتعلمون العلوم الحديثة العصرية بل يرى فيها ما يورث الشبه الجديدة فى قلوبهم حتى أنهم ينتقلون تارة من الشكوك و الشبه إلى الإلحاد. (بربودنم أسبوعية عدد ١٦ صفحة ١٥)

و يبين عن التفاسير خاصة و ليس لتعليم القرآن حاجة إلى التفاسير و لكن يكفى محاضر دبلوماسى. (تنقيحات ١٩٣)

و لا يكتفى بذلك أعوانه بل يترقى و يقول : فى هذا الزمن الذى غلبت فيه الضلالة و فساد الرأى العمل الكبير الذى عليه الجماعة الإسلامية أن يجيز لكل متوسلى الجماعة الحرية فى التفسير و أخذ الأحكام جاعلا أصله الكتاب و السنة. (كوثر ١٩٥١ مايو ٥)

حاشالله ، تعطى الجماعة لكل متوسليها حرية الاستبداد لا يؤخذ الأحكام من القرآن و الأحاديث من دون التفاسير. هذا، و قد أنذر صاحب الشريعة رسول الله ﷺ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار، رواه الترمذى و أبو داود فليحذر أهل الحق و لينظر أ ليس هذا خبط عشواء.

عداوة التصوف :

لا يخفى أن الأستاذ المودودى نظرته و أفكاره كلها سياسية يجتهد لموافقة آرائه و نظرته للكتاب و السنة و مع ذلك يسعى حسب الإمكان بمقالاته الجذابة لسلب تزكية القلوب و الأمور الروحانية الفائضة من أهل التصوف و مشايخ الطريقة من قلوب القراء .

و علم التصوف أصله ما أشار الله سبحانه و تعالىٰ من أهم أسباب البعثة حيث يقول تعالىٰ :

﴿لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ بَعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيْهِمْ ...﴾ [سورة آل عمران، آية : ١٦٤]

و جـاء فـى حـديـث جبريل المشهور حيث سأل عن الإحسان فـقـال: أن تـعبـد الـله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، و قد عد صـاحـب الشـريـعة الإسـلام و الإيـمـان و الإحسان من أصول الدين، حيـث قـال : هـذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم فالتزكية و الإحسان هما أصل التصوف الذى أقره الأئمة الأعلام كابرا عن كابر إلا من شذ عنه مثل العلامة ابن تيمية و من حذا حذوه و لكن الأستاذ المودودى على نـمط تجديده ينتقد التصوف، و الطريقة و يقول : يمنع فى هذا الزمان إشـارات الـتـصـوف و علاماته و اصطلاحاته و ما شاكل ذلك، و كذلك سبيل طرائق المشائخ يحترز عنها. (الفرقان منصب جديد)

و فـى مـحـل آخـر يقول: يحترز من يسعى لتجديد الدين فى هذا الزمان لغات التصوف و اصطلاحاته و رموزه و لباس أهله و الطريقة و ما يشاكلها كما يحترز مريض الذيابيطس السكر. (تجديد و إحياء دين ١٣)

و يقول فى بيانه : عن العلامة الشهير شاه و لى الله الدهلوى بـعـد مـا أقـر أنـه مـن المجددين و لكن سقى المسلمين من التصوف السموم القاتلة. (نفس المصدر)

و يـزرى فـى مـقـالاتـه كثيـرا الطـريقة و البيعة و يشبههـا بـالـجـاهـلية و الـرهبـانية و بودهسم و يوك و التقشف و غير ذلك و يستهزئ بالزهد و بيعة المشائخ فى غضون مقلاته .

و لا يخفى على من له أدنى مسكة من العلوم الشرعية أن بيعة المشائخ له أصل أصيل فى الكتاب و السنة يقول الله تعالى :

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوْبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيْبًا﴾ [سورة الفتح، آية : ١٨]

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يُبَايِعُوْنَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُوْنَ اللّٰهَ يَدُ اللّٰهِ فَوْقَ أَيْدِيْهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهٖ وَ مَنْ أَوْفٰى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ فَسَيُؤْتِيْهِ أَجْرًا عَظِيْمًا﴾ [سورة الفتح، آية : ١٠]

و قال تعالىٰ :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلىٰ أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللّٰهِ شَيْئًا وَ لاَ يَسْرِقْنَ وَ لاَ يَزْنِيْنَ وَ لاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَ لاَ يَأْتِيْنَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهٗ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لاَ يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوْفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ [سورة الممتحنة، آية : ١٢]

يقول المفسرون: فى تفسير هذه الآية هى الأصل فى بيعة المشائخ، قال العلامة إسماعيل حقي: فى روح البيان و بالجملة كانت البيعة مع النساء و الرجال أمرا مشروعا و سنة بفعل رسول الله ﷺ و من ذلك كانت عادة مستحسنة بين الفقراء الصوفية حين إرادة التوبة تثبيتا للإيمان و تجديدا لنور الإيقان. (٩ ج ٩١ روح البيان)

و قال العلامة الصاوى : و هذه الآية و إن كان سبب نزولها بيعة الرضوان إلا أن العبرة بعموم اللفظ فيشمل مبايعة الإمام على الطاعة و الوفاء بالعهد و مبايعة الشيخ العارف على محبة الله و رسوله و التزام شروطه و آدابه و من هنا استعمل مشائخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المريد. (صاوى ٤ ج ٩٨)

و فى صحيح البخارى بايعنى على أن لا تشرك بالله شيئا و مثل ذلك فى الأحاديث كثيرة شهيرة و يتصل علوم التصوف و تصفية القلوب و الزهادة إلى أصحاب الصفة و أكابر الصحابة مثل سلمان الفارسى و أبى ذر الغفارى و أمير المؤمنين على رضوان الله تعالى عليهم و من التابعين مثل أويس القرنى و الحسن البصرى و أمثالهما، اقتفى أثرهم الأقطاب المشهورون وغيرهم من أهل الطريقة المرضية على مقدمتهم الغوث الأعظم عبد القادر الجيلانى و تاج العارفين أحمد الكبير الرفاعى و أبو الحسن على الشاذلى و الشيخ إبراهيم الدسوقى و سلطان الهند خواجه معين الدين الأجميرى وغيرهم من العارفين المشهورين الأعلام فى تاريخ الإسلام و دون ذلك العلم مآت الأئمة المتقنين على مقدمتهم الإمام العارف بالله جامع الشريعة و الطريقة و الحقيقة المشهور فى الآفاق بسيد الطائفة الشيخ جنيد البغدادى و على نمطه حجة الإسلام أبو حامد الغزالى و الإمام عبد الوهاب

الشعرانى و الشيخ عبد الله اليافعى و العلامة شاه ولى الله الدهلوى من أكابر الصوفية رحمهم الله و رحمنا معهم، آمين.

يقول الإمام الغزالى: و بالجملة فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك حقيقة النبوة إلا الاسم. (المنقذ من الضلال ص ٣١)

و يقول العلامة ولى الله : ليس منا من ترك ملازمة العلماء اعنى الصوفية، اه و يقول سيد الطائفة الجنيد: (رحمه الله) علمنا هذا مشيد بالكتاب و السنة. (الطبقات الكبرىٰ ج ١ ص ٤)

و يقول الإمام الشعرانى: فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم. (نفس المصدر)

و الناس أعداء ما جهلوا فذلك ينكر الأستاذ المودودى أحوال الصوفية و اصطلاحاتهم و يوصى أعوانه و متوسليه بالاحتراز عن التصوف، و الله يهدينا سبيل الرشاد. آمين.

علم الحديث و طريق اعتماده:

عادة الأستاذ المودودى كمثل سائر الفرق الجديدة لا ينكر الكتاب و لا السنة علما بأن ذلك يتسبب لمج عوام المسلمين و لكن فى غضون كلامه و بيانه ما يورث عدم الوثوق بالأحاديث مثلا يقول : فى رسالته " التفهيمات" مع الاعتراف بجواز كمال الرواة يجب الاستسلام بأمر و هو و إن جتهدوا و تفحصوا فى علم

الحديث حسب وسعهم لكن فيه القصور من جهتين أحدهما من جانب الرواية و الآخر من جانب التفقه. (تفهيمات ج ١ ص ٢٩٢ و كذلك فى رسائل و مسائل ج ١ ص ٢١٦)

و يسيل قلمه تباعا حيث يقول: و أى شىء فى أسماء الرجال لا يحتمل الخطأ؟ أولًا: يشق المعرفة عن سير الرواية و حفظهم و أوصافهم الباطنية، و ثانياً: الذين ينتقدون عنهم ليسوا سالمين عن القصور الإنسانى و هوى النفس غالبة على كل واحد و الذين يثبتون الرأى عن الجرح و التعديل يمكن التدخل فى هويتهم. حسب أنانيتهم و إيثار أنفسهم و ليس ذلك إمكانا فقط بل تبين وقوع ذلك أيضا. (نفس المصدر ٢٩٣–٢٩٤)

و يقول أيضاً: يبحث عن خبر الأحاد غير المتواتر و إن ما ورد فى الأحاديث منسوبا إلى النبى صلى الله عليه وسلم من الأقوال و الأفعال يشكل أنه فى الواقع أقواله أو أفعاله أم لا؟ (رسائل ج ١ ص ٢١٣) هكذا يمشى قلمه بلا عنان.

و بعد ذلك ننظر لماذا فقد كذلك علم أسماء الرجال و انتقص الروايات يتضح لنا ذلك من قوله أخيرا حيث يختار طريق أخذ الأحاديث يقول: بعد ما يحصل الإنسان الذوق العلمى لا يحتاج كثيرا إلى الإسناد و لا شك إن الأسناد يكون مساعدا له و لكن لا

يكون الاعتماد و مدار الأخذ على الإسناد و فى أكثر الأوقات يعتمد على الضعيف و المنقطع و الغريب و ما ثبت خلله عن المحدثين و يترك ما صححه المحدثون و المتصل الأسناد و غير الغريب من الأحاديث كما أنه يدرك يلتقط من بين الأحجار المتروكة نور الجواهر. (تفهيمات ج ١ ص ٢٩٧)

تبين من بيانه أنه لا يعتمد علم الأسناد و أسماء الرجال و ينتقص سعيهم لقصورهم بإيثار أنفسهم و غلبة أنانيتهم و بعد ذلك يختار طريقا بالأخذ و استنباط الأحكام و ذلك من الذوق العلمى الذى يحصل له، و نتسائل من أين يحصل هذا الذوق لمن لم يتمكن له علم الحديث دراية و لا رواية؟ نضم مع ذلك أن هذا الرجل الذى يدعى كما هو مجدد لم يتمكن له تحصيل علم الحديث رواية و لا دراية كما يشهد لذلك تاريخه و لم يدع هو ولا أعوانه أخرج الحديث أو أخذه من محدث متصل الأسناد و لكن يحكم عقله و ما طالعه من الغث و السمين و حسب بيانه الجذاب يقتفى أثره من لا مسكة له فى أمور الشريعة لا فى الكتاب و لا فى السنة، حمانا الله من مثل تلك البلوى. آمين

عدالة الصحابة عند المودودى :

يقول سبحانه و تعالى فى كلامه العزيز:

﴿وَ السَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَ الأَنْصَارِ وَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوْا عَنْهُ ...﴾ [سورة التوبة، آية: ١٠٠]

و يقول سيدنا الرسول ﷺ: الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم من بعدى غرضا من أحبهم فبحبى أحبهم و من أبغضهم فببغضى أبغضهم. و ما إلى ذلك مما شحن كتب الحديث و آيات القرآن و أجمع الأمة على أنهم عدول لا يعترى بمقاماتهم الجرح و التعديل يقول العلامة ملا علي القارى: فى شرحه على المشكوة والصحابة كلهم عدول مطلقا لظواهر الكتاب و السنة و إجماع من يعتد به. (مرقاة ٥/ ٥١٧)

و يقول الحافظ العسقلانى: فى الإصابة إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم إنه زنديق و ذلك إن الرسول حق و القرآن حق و ما جاء به حق و إنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة و هؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب و السنة و الجرح بهم أولى و هم زنادقة. (الإصابة فى تميز الصحابة ج ١ ص ١١)

و مع ذلك الأستاذ المودودى يعترض للصحابة حيث يقول: بعد تجريح رجال الأحاديث و رواته و أعجب من ذلك أن الصحابة فى أكثر الأوقات غلبت عليهم القصور الإنسانية و كانوا يكذبون

بعضهم بعضا. (تفهيمات ١/١٩٤)

و يقول أيضا:

(فى ترجمان القرآن ص ١٢ عدد ٤ ربيع الآخر سنة ٧٥) كانت الصحابة يخطئون فى الجهاد الإسلامى الابتدائى عن فهم الجاذب الأصلى بالنسبة إلى الجهاد الإسلامى، و يقول أيضا : فى المصدر المذكور (ص ٣٥ و ٣٦ سنة ١٩٦٥م و ٤٩) ما ملخصه : أن عثمان استخدم الطلقاء فى مناصب سامية من الحكومة و القيادة و هؤلاء الطلقاء دخلوا فى الإسلام بعد فتح مكة و هؤلاء و إن كانوا ماهرين فى سياسة غير دينية و أمور انتظامية و لكنهم ما كانوا يستحقون ذلك لأجل عدم كفاء تهم فى قيادة أخلاقية يريد أن أنفسهم لم تتزكوا بصحبة الرسول الطويلة فكانت فيهم بقية من الجاهلية، و هو يسرح ذلك فى عدة مواضع من رسالته الخلافة و الملوكية و سائر رسائله حتى فى تفسيره تفهيم القرآن.

انظروا كيف يطلق الأستاذ قلمه بالطعن على الصحابة؟ رضوان الله تعالىٰ عليهم حيث يقول: يكذب بعضهم بعضا مع تزكيتهم القرآن و السنة و الإجماع و هو لا يعرف فحواهم حيث يطلقون لفظ الكذب على الخطأ و معلوم أن الخطأ فى الاجتهاد أمر مأمور كما أرشدنا الرسول بقوله: من اجتهد فأخطأ فله أجر واحد و

لم ينجح من قلمه مثل الخليفة الراشد عثمان ذى النورين و مثل معاوية حيث هتك أعراضهم بحب الدنيا و عدم فهم معنى الجهاد فى سبيل الله و الطمع و الحسد و ما إلى ذلك و نقدهم حتى أصبحوا دريئة للخوض فى أعراضهم.

أيها القارى المنصف! قل لى: بالله عليك، كيف نطمئن بهذا الدين المتين و هم حاملوه إلى الأمة؟ و إذا كانوا غير عدول و مطعونين فممن نأخذ الدين؟ ثم أ ليس فى ذلك تكذيبا لله سبحانه؟ و هو يقول فى محكم التنزل:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّٰهِ وَ الَّذِيْنَ مَعَهٗ أشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَّبْتَغُوْنَ فَضْلاً مِّنَ اللّٰهِ وَ رِضْوَانًا سِيْمَاهُمْ فِيْ وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُوْدِ...﴾ [سورة الفتح، آية :٢٩]

و يقول أيضا:

﴿ أُولٰٓئِكَ هُمُ الصَّادِقُوْنَ﴾ [سورة الحجرات، آية :١٥]

و يقول :

﴿ أُوْلٰٓئِكَ هُمُ المَفْلِحُوْنَ﴾ [سورة البقرة، آية :٥]

و يزكيهم بقوله:

﴿...رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوْا عَنْهُ... ﴾ [سورة التوبة، آية: ١٠٠]

إلـى غيـر ذلك مـن آيــات التـنـزيل العـزيـز فهل الأسـتـاذ المودودى أعلم بأصحاب رسول الله أو عالم الغيب و الشهادة العليم الـخبيـر سبـحـانـه و تـعالىٰ، حاشا لله كيف يجترئ من ينتسب إلى الإسلام لمثل ذلك؟

الفقه فى نظر المودودي :

صـرح الأستـاذ الـمـودودى فـى خـطبة الصدارة التى ألقاها فى الـجلسة التـى انـعـقـدت لتـنـظيم الجماعة الإسلامية فى لاهور فى أول شـعبـان ١٣٦٠ الهجرية بأن له مسلكا خاصا فى الفقه و علم الكلام و هو الذى اخترته من تحقيقى الذاتى يعلم ذلك قراء ترجمان القرآن من خلال ثمانى سنوات التى مضت، الخ. (روداد جماعت إسلامى ج ١ ص ٢٤)

و يقول : فيما نقل الجريدة " بربودهنم" المنشورة فى مليالم نـقـلا عـن تـرجمان القرآن و سبب مزلقة المجددين و العلماء فى هذا الـعـصر أنهـم يتـمسـكـون للتعليم و لتجديد الدين الكتب التى ألفها الأئـمة فـى القرن الثانى و الثالث من الهجرة و الأمور التى اقتفوها و أكثـر الـكـتـب الـمتـداولة بيـنـنـا من التفاسير و الأحاديث و الفقه و الأخلاق مؤلفة قبل الألف من الهجرة النبوية. (بربودهنم ٣-٤٧)

و مثـل هـذا التـنقيد مشحونة فى طى مقالاته كثيرا حتى أن هذه الجريدة التى أشرت تصرح فيها. (فى مجلد ٧ عدد ٣٨)

و مقصد الجماعة أن يستفز الكل لترك المذاهب المدونة و يهيأهم للأخذ من الكتاب و السنة و يقول أيضا: فى مقدمة رسالته "حقوق الزوجين" ليس ما يجرى من أحكام الأمور الزواجية حسنا أو كاملا فقد أورث ذلك خطرا فى المعاش المدنية ما لم يوجد فى قانون قط حتى أنه بسبب هذا القانون لم يخل بيت فى الهند إلا وقد اعتراه الهلاك، و تلف المعاش ليس أمرا كبيرا و أعظم فسادا من ذلك أن عز المسلمين و طهارة أرحامهم خربت بسبب هذا القانون و قد أفسد ذلك عقائدهم و أخلاقهم و البيوت التى كانت حفاظة للدين و التزكية دخل فيها ثورات الفاحشة و الهلاك اه. (حقوق الزوجين ٩)

و يتبع ذلك بالإرشاد لما يتخلص من هذه الورطة فى رأيه يقول: أو لا يترك العلماء التقليد الجامد و يثبتون الأحكام بما يناسب العصر الحالى بحيث يصلح الفساد فى أحكام النكاح بتمامه.
(نفس المصدر ص١٢)

تبين لنا من خلال كلامه أن الأستاذ المودودى اختار مسلكا فى الفقه و علم الكلام و ينتقد ما عليه الأئمة المجتهدون و يصرح بأنهم أوقعوا بيوت المسلمين فى مهالك و أخطار و فواحش و يدعى بأن ذلك الخطر نبع من تمسك العلماء بالتقليد للمذاهب و تداولهم

الكتب القديمة المصنفة فى خير القرون و يصرح بأنه يعطى الإجازة لكل واحد من متوسلى الجماعة الإسلامية لأخذ الأحكام من الكتاب و السنة و ترك المذاهب المتبعة و السبب الباعث على ذلك أن الأحكام الفقهية الجامدة المتداولة كانت أضر للناس فى معاشهم.

و ليت شعرى ماذا فهم هذا المدعى التجديد من أصول الفقه و فروعياته و من أين أخذ ذلك الرأى الفاسد؟ انظر ما أثبته علماء أصول الفقه فأنهم ذكروا قواعد الفقه و ما تمسكوا بها من المسالك حيث ردوا الأصول على خمس قواعد أساسية مشهورة و هى :

(١) الأمور بمقاصدها.

(٢) و اليقين لا يزول بالشك .

(٣) الضرر يزال .

(٤) المشقة تجلب التيسير.

(٥) العادة محكمة.

أثبت ذلك الإمام السبكى فى جمع الجوامع وغيره من كتب أصول الفقه و قاعدة أساسهم مبنى على قوله تعالى:

﴿ ...وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِيْ الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ... ﴾ [سورة الحج، آية :٨٧]

و قد ضم إلى ذلك الإمام الكرخى فى رسالته المشهورة

قواعد أخرى تحتوى سبع و ثلاثين قاعدة حيث يقول البعض: و لعل ذلك أول نواة للتأليف فى هذا الفن. (القواعد الكلية فى الفقه الإسلامى للدكتور حسن أبو عبيد ص ١١)

و إذا كان الفقهاء بنوا الأحكام على قاعدة " المشقة تجلب التيسير " فأين قول الأستاذ المجدد بأن أحكام الفقهاء أورث بيوت المسلمين ثوران الفاحشة و هلاك المعاش لجمود أحكام الفقهاء أ ليس ذلك جهلا أو تجاهلا على أحكام الفقه و انظر مع ذلك قوله ﷺ: اختلاف أمتى رحمة، و علماء المذاهب الأربعة دونوا هذا الاختلاف و دلائلهم من ثلاثة عشر قرن حتى أن الإمام عبد الوهاب الشعرانى كتب كتابا فى مجلدين باسم الميزان و رد مسائل الفقه المدونة الخلافية جلها إلى عزيمة و رخصة فإن مشى إمام فى استنباطه على العزيمة و الورع مشى آخر على الرخصة مصداقا لقواعدهم المشقة تجلب التيسير.

فعلينا معاشر المسلمين أن نطيع الله و رسوله و نتأسى بالأئمة المجتهدين فإنه تعالىٰ يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا أَطِيْعُوْا اللّٰهَ وَ أَطِيْعُوْا الرَّسُولَ وَ أُوْلِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ [سورة النساء، آية : ٥٩]

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير: فى تفسيره لهذه الآية قال

على بن أبى طلحة عن ابن عباس :

﴿...وَ أُوْلِىْ الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ [سورة النساء ، آية : ٥٩]

يـعـنى أهل الفقه و الدين و كذا قال مجاهد و عطاء و الحسن البصرى:

﴿...وَ أُوْلِىْ الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ [سورة النساء ، آية : ٥٩]

يعنى العلماء ثم قال:

و قال تعالى:

﴿فَاسْئَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُوْنَ﴾ [سورة النحل، آية:٤٣ – سورة الأنبياء، آية : ٧]

و فى الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : من أطاعنى فقد أطاع الله و من عصانى فقد عصى الله و من أطاع أميرى فقد أطاعنى و من عصى أميرى فقد عصانى، فهذه أوامر بطاعة العلماء و الأمراء الخ. (ابن كثير ج ١ ص ٥١٨)

و لا يمترى عاقل أن العلماء الذين أمر النبى ﷺ بطاعتهم هم أهل الاجتهاد لا كل من يدعى العلم و يطالع كتبا و تسمى بالعلماء مثل الأستاذ المودودى الذى يزرى و ينتقص الكتب التى ألفها الأئمة فى خير القرون التى أرشدنا الرسول الكريم بقوله : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. (متفق عليه).

ألا ، و إن العلماء المتقنين شرطوا لمن يأخذ و يستنبط الأحكام من الكتاب و السنة شروطا لا غنى عنها، حتى نقل العلامة شاه ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى عن الإمام رئيس المحدثين أحمد بن حنبل أنه سئل يكفى الرجل مائة ألف حديث لأن يفتى قال: لا، حتى قيل: خمس مائة ألف، قال: أرجو كذا فى غاية المنتهى. (حجة الله البالغة ١ ص ١٥٠)

و لا يخفى عن ذاكرتك أن هذا الإمام المجتهد كان حافظا لمليون حديث مع سندها و تاريخ رواتها، و أنّى لمثل منتحل التجديد التناوش من مكان بعيد!

و قال ابن القيم الجوزى نفسه فى: "أعلام الموقعين" لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب و السنة ما لم يجتمع فيه شروط الاجتهاد و من جميع العلوم و قال الإمام أبوبكر الهروى، أجمعت العلماء قاطبة على أنه لا يجوز لأحد أن يكون إماما فى الدين و المذهب المستقيم حتى يكون جامعا هذه الخصال و هى : أن يكون حافظا للغات العرب و اختلافها و معانى أشعارها و أصنافها و اختلاف العلماء و الفقهاء و يكون عالما فقهيا و حافظا للأعراب و أنواعه و الاختلاف، عالما بكتاب الله حافظا له و لاختلاف قراء ته و اختلاف القراء فيها عالدا بتفسيره و محكمه و متشابهه و ناسخه

و منسوخه و قصصه، عالما بأحاديث الرسول مميزا بين صحيحها و سقيمها و متصلها و منقطعها و مراسيلها و مسانيدها و مشاهيرها، و أحاديث الصحابة موقوفها و مسندها ثم يكون ورعا دينا صائنا لنفسه صدوقا ثقة يبنى مذهبه و دينه على كتاب الله و سنة رسوله، فإذا جمع هذه الخصال فحينئذ يجوز أن يكون إماما و جاز أن يقلده و يجتهد فى دينه و فتاواه و إذا لم يكن جامعا بهذه الخصال أو أقل بواحدة منها كان ناقصا و لم يجز أن يكون إماما و أن يقلده الناس، قال: قلت: و إذا ثبت إن هذه شرائط لصحة الاجتهاد و الإمامة فقد يجب لكل من لم يكن كذلك أن يقتدى من هو بهذه الخصائل المذكورة، الخ. (الصواعق الإلهية لسليمان بن عبد الوهاب)

و قال الإمام ابن السبكى: و هو أى المجتهد البالغ العاقل ذو ملكة فقيه النفس ذو الدرجة الأولى لغة و عربية من نحو و تصريف و أصول و بلاغة من معان و بديع و متعلق الأحكام من كتاب و سنة و قال: بعد ذلك قال الشيخ الإمام: و كونه خبيرا بمواقع الإجماع كى لا يخرقه و الناسخ و المنسوخ و أسباب النزول و شرط المتواتر و الآحاد و الصحيح و الضعيف و حال الرواة و يكفى فى الخبرة حال الرواة فى زماننا الرجوع إلى أئمة

ذلك من المحدثين الخ. (مختصرا من جمع الجوامع ص ٤٢٤-٤٢٠ جلد ثاني من حاشية العطار)

و قال صاحب فتح المعين: و المجتهد من يعرف بأحكام القرآن من العام و الخاص و المجمل و المبين و المطلق و المقيد و النص و الظاهر و الناسخ و المنسوخ و المحكم و بأحكام السنة من المتواتر و هو ما تعددت طرقه و الآحاد و هو بخلافه و المتصل باتصال روايته إليه ﷺ و يسمى المرفوع أو إلى الصحابى فقط و يسمى الموقوف و المرسل و هو قول التابعى: قال رسول الله ﷺ: كذا أو فعل كذا، و بحال الرواة قوة و ضعفا و بالقياس بأنواعه الثلاثة من الجلى أو المساوى أو إلا دون و بلسان العرب لغة و نحواً وصرفا و بلاغة و بأقوال العلماء من الصحابة فمن بعدهم. (مختصراً من فتح المعين ص ٤٢٠ -٤٢٢)

و قال الإمام ابن السبكى: و يلزم غير المجتهد عاميا كان أو غيره أى يلزمه التقليد للمجتهد لقوله تعالى:

﴿فَاسْئَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُوْنَ﴾ [سورة النحل، آية:٤٣- سورة الأنبياء، آية : ٧]

(جمع الجوامع ج ٢ ص ٤٣٣ و كذلك فى تحفة المريد لشيخ الإسلام إبراهيم الباجورى فى ص ١٠٦)

و المذاهب المدونة فى خير القرون منحصرة فى أربعة فقط، كما عليه الأئمة خلفا عن سلف و لذلك قرر الأئمة أنه يجب على كل واحد من الخواص و العوام التزام مذهب من المذاهب الأربعة فى هذا العصر الأخير، و إن من خرج من المذاهب الأربعة ضال و مضل. قال الإمام أحمد الصاوى: فى تفسيره و لا يجوز تقليد ما عد المذاهب الأربعة و لو وافق قول الصحابة و الحديث الصحيح أو الآية فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال و مضل و ربما أداه ذلك إلى الكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب و السنة من أصول الكفر. (من حاشية الجلالين ج ٣ ص ٩)

و نقل ابن الصلاح الإجماع على أنه لا يجوز تقليد غير الأئمة الأربعة أى حتى للعمل بنفسه الخ. (بغية المسترشدين ص٩)

فإن أردت المزيد فعليك بجمع الجوامع "للإمام السبكى" و "تحفة المحتاج" و "الفتاوى الكبرى" و "كف الرعاع" و غيرها لخاتمة المحققين أحمد ابن حجر الهيتمى و "إحياء علوم الدين" و "الوسيط" لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى و "الأنوار" للأردبيلى و "در المختار" لابن عابدين و "فتح البارى" للحافظ العسقلانى و غيرها من الكتب المتداولة فإنهم صرحوا بأنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة و انقضى القياس و الاجتهاد بعد أربعة قرون من سنى الهجرية .

و قد يزعم من ليس له خبرة فى العلوم الشرعية صحة أحاديث المذاهب الأربعة مستدلا بقول الإمام الشافعى: إذا صح الحديث فهو مذهبى لأن مراد هذا القول ليس أن كل أحد رأى حديثا صحيحا قال: هذا مذهب الشافعى قال الإمام محى السنة و الدين النووى رحمه الله تعالىٰ : و هذا الذى قاله الشافعى: ليس معناه إن كل أحد رأى حديثا صحيحا قال: هذا مذهب الشافعى و عمل به و إنما هذا فيمن له رتبة الاجتهاد فى المذهب على ما تقدم من صفته و شرطه أن تغلب على ظنه أن الشافعى لم يقف على هذا الحديث أو لم يعلم صحته و هذا إنما يكون بعد مطالعة كتب الشافعى كلها و نحوها من كتب أصحابه الآخذين عنه و ما أشبهها، و هذا شرط صعب قل من يتصف بها الخ. (شرح المذهب ج ١ ص ٦٤)

و يقول أيضا: و قد روينا عن الإمام أبى بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة المعروف بإمام الأئمة و كان من حفظ الحديث و معرفة السنة بالغاية العالية أنه سئل هل تعلم سنة صحيحة لم يودعها الشافعى فى كتبه؟ قال: لا، ومع هذا فاحتاط الشافعى رحمه الله لكون الإحاطة ممتنعة على البشر فقال: ما ثبت عنه من أوجه من وصيته بالعمل بالحديث الصحيح و ترك قوله المخالف للنص الثابت الصريح الخ. (المصدر نفسه ج ١ ص ١١)

و قال أبو الحسن الكرخى: المتوفى سنة ٣٤٠ الهجرية كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهى مؤولة أو منسوخة، و كل حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ. (تاريخ التشريع الإسلامى ص ٣٢٥)

و لا يدرى هذا الزاعم أن أكثر كتب الأحاديث من الصحاح وغيرها مؤلفة بعد تدوين المذاهب الأربعة و مصنفو كتب الأحاديث أيضا متمسكون لمذهب إمام من الأئمة الأربعة كما يشهد لذلك تواريخهم، حتى أن العلامة أحمد بن تيمية الحرانى نفسه يصرح بقوله: و لا يقولن قائل: الأحاديث قد دونت و جمعت فخفائها و الحال هذه بعيدة لأن هذه الدواوين المشهورة فى السنن إنما جمعت بعد انقراض الأئمة المتبوعين و مع هذا فلا يجوز أن يدعى انحصار حديث رسول الله ﷺ فى دواوين معينة ثم لو فرض انحصار حديث رسول الله ﷺ فليس كل ما فى الكتب يعلمه العالم و لا يكاد ذلك يحصل لأحد، بل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة و هو لا يحيط بما فيها، بل الذين كانوا قبل جمع هذه الدواوين أعلم بالسنة من المتأخرين بكثير لأن كثيرا مما بلغهم و صح عندهم قد لا يبلغنا إلا عن مجهول أو بإسناد منقطع أو لا يبلغنا بالكلية، فكانت دواوينهم صدور التى تحوى أضعاف ما فى الدواوين و هذا أمر لا

يشك فيه من علم القضية. (رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ص٦)

فكيف نأخذ بقطع من الأحاديث من هذه الدواوين و نترك مذاهب الذين تحوى صدورهم أضعاف ذلك و مع ذلك دعواه بعدم الاكتفاء بالمصنفات التى فى القرون الثلاث الأول مردود لأن الأئمة الأعلام مثل إمام الحرمين يصرح بأنه يبعد أن تقع مسئلة لم ينص عليها فى المذاهب و لا هى فى معنى المنصوص و لا متدرجة تحت ضابطة انظر حاشية البنانى على جمع الجوامع. (ص ٣٨٦ ج ٢)

فتبين لنا من قول الأئمة و العلماء الأعلام أن إعطاء الحرية لكل متوسلى الجماعة الإسلامية فى هذا العصر الأخير لأخذ الأحكام من الكتاب و السنة ابتداع فى الدين و تهجم الأستاذ المودودى على الفقهاء فى غير محله، حمانا الله من مثل هذه البلوى . آمين.

الخوارجية الجديدة :

و لنبين أولا من هم الخوارج و ما هى دعواهم و تاريخيهم؟ فإن الخوارج أول فرقة خرجت فى عصر الصحابة و افترق منهم عشرون فرقة مارقة كما صرح به العلامة أبو منصور البغدادى، و قال الحافظ العسقلانى: فى فتح البارى و أصل ذلك أن بعض أهل العراق أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان فطعنوا عثمان بذلك و كان يقال لهم: القراء لشدة اجتهادهم فى التلاوة و العبادة إلا أنهم

يتأولون القرآن على غير المراد منه و يستبدون برأيهم و يتنطعون فى الزهد و الخشوع و غير ذلك، فلما قتل عثمان قاتلوا مع علي و اعتقدوا كفر عثمان و من تابعه، و اعتقدوا إمامة علي و كفر مقاتليه و من أهل الجمل الذين كان رئيسهم طلحة و الزبير إلى أن قال الحافظ : ثم لما وقع القتال بين علي و معاوية فى الصفين و دام الحرب بينهما شهرا و كاد أهل الشام أن ينكسروا فرفعوا المصاحف على الرماح و نادوا ندعوكم إلى كتاب الله فترك القتال جمع ممن كان مع علي و خصوصا القراء المذكورون ثم لما مضت المحاورة و المصالحة بين علي و معاوية بواسطة الحكمين السيدين أبى موسى و عمرو بن العاص أنكرت تلك الطائفة التى صارت خوارج و فارقوا عليا و هم ثمانية الآف أو أكثر من عشرة آلاف و نزلوا مكانا يقال له: "الحروراء" و من ثم قيل لهم: الحرورية وكان كبيرهم عبد الله بن الكواء اليشكرى و ثبت التميمى فأرسل إليهم علي عبد الله بن عباس فناظرهم و رجع كثير منهم ثم خرج إليهم علي فأطاعوه و دخلوا معه الكوفة معهم رئيساهم المذكوران ثم أشاعوا أن عليا تاب من الحكومة و لذلك رجعوا معه فبلغ ذلك عليا فخطب و أنكر ذلك فتنادوا من جوانب المسجد لا حكم إلا لله فقال علي: كلمة حق يراد بها باطل، فقال لهم: لكم علينا ثلاثة إن لا نمنعكم المساجد و لا من

رزقكم من الفيء و لا نبدؤكم بقتال ما لم تحدثوا فسادا و خرجوا شيئا بعد شيء إلى أن اجتمعوا بالمدائن ثم اجتمعوا على ان من لا يعتقد معتقدهم يكفر و يباح دمه و ماله و أهله، و انتقلوا إلى الفعل فاستعرض الناس فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين و مر بهم عبد الله بن خباب الأرت و كان و اليا لعلي على بعض تلك البلاد و معه سرية و هى حامل فقتلوه و بقر بطن سريته عن ولد، فبلغ عليا فخرج إليهم بالجيش الذى هيأه للخروج إلى الشام فأوقع بهم فى النهروان و لم ينج منهم إلا دون العشرة و لا قتل ممن معه إلا نحو العشرة فهذا ملخص أول أمرهم ثم انضم إلى من بقى منهم من مال إلى رأيهم فكانوا مختفين فى خلافة علي جتى كان منهم عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا بعد أن دخل علي فى صلاة الصبح ثم بعد موت يزيد و ثار مروان مدعى الخلافة ظهر الخوارج فى العراق مع نافع بن الأزرق و باليمامة مع نجدة بن عامر و زاد نجدة على معتقدهم أن من لم يخرج و يحارب المسلمين فهو كافر و لو اعتقد معتقدهم و عظم البلاء بهم و توسعوا فى معتقدهم الفاسد فأبطلوا رجم المحصن و قطعوا يد السارق من العضد و أوجبوا الصلاة على الحائض فى حال حيضها و كفروا من ترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر إن كان قادرا و إن لم يكن قادرا فقد

ارتكب كبيرة و حكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، فقال ابن حزم: ذهب نجدة بن عامر من الخوارج إلى أن من أتى صغيرة عذب بغير النار و من أدمن على صغيرة فهو كمرتكب الكبيرة فى التخليد فى النار و ذكر أن منهم من علا فى معتقدهم الفاسد فأنكر الصلوات الخمس و قال: الواجب صلاة بالغداة و صلاة بالعشى و منهم من جوز نكاح بنت الابن و بنت الأخ و الأخت إلى آخر ما قال الحافظ: (مختصرا من فتح البارى ج ١٦ ص ٣٦، ٣٥، ٣٤ طبع دار أبى عيان)

و قال العلامة ابن كثير و قد ذكر ابن جرير أن عليا بينما هو يخطب وما إذ قام رجل من الخوارج فقال: يا علي! أشركت فى دين الله الرجال و لا حكم إلا لله فتنادوا من كل جانب لا حكم إلا لله فجعل على يقول: هذه كلمة حق يراد بها باطل اه. (البداية و النهاية ج ٧ ص ٣٣٧)

و يقول الشيخ السيد الشبلنجى: المدعو بالمؤمن فى نور الأبصار فى مناقب آل النبى المختار الخوارج هؤلاء الذين خرجوا على علي لما حكم الحكمين و قالوا: لاحكم إلا لله و هم الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، كما جاء فى حديث البخارى و منهم عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى الذى جاء النبىّ و هو يقسم الصدقات فقال: يا محمد! اعدل فقال: ويلك و من يعدل إن لم أعدل، فقال عمر: فاذن لى يا رسول الله! فى

أن أضرب عنقه، فقال له: دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم و صيامه من صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. (نور الأبصار ص ١٠٦)

فاتضح لنا من هذه العبارات أن الخوارج الذين خرجوا عن طاعة الخلفاء فى عصر الصحابة كانت دعواهم أولا الحكومة الإلهية بقولهم: لا حكم إلا لله رادين تحكيم الحكمين الذين اتفق الصحابة على قبولهما و إن كان كلمتهم هذه حقا و لكن أرادوا بها الباطل كما أشار إليه الخليفة الرابع الراشد و هو باب مدينة العلوم علي بن أبى طالب كرم الله تعالىٰ وجهه و ثانيا أنهم فى الظاهر متمسكون فى الدين يصلون و يصومون و يعبدون و لكنهم يكفرون أهل المعاصى من المسلمين و هذان الوصفان موجودان فى أمير الجماعة أبى الأعلى و أتباعه كما يشهد بذلك تأليفهم مثلا يقول : فى الخطبات التى ألفها المودودى يسافرون فى نواحى العالم و حينما يرحلون إلى كعبتهم الخاصة أعنى بلاد الأوربا و قافلين عنها يعبرون عند ساحل الحجاز و المسافة بينهم و بين مكة ساعات قليلة، إن لم يخطر فى باله إرادة الحج – و الحال هذه – فليس بمسلم و إن ادعوا أنهم مسلمون فهم يقولون: ذلك زورا، و الذين يعتقدون أنهم مسلمون جاهلون عن القرآن. (خطبات مليالم ص ٣٢٤)

و يقول: فى موضع آخر منه و مما أوردنا تبين أن من ترك الصلاة ليس له مجال فى أن يطلق عليه أنه مسلم (نفس المصدر ص ١٥٠)

و بينما هو يبحث عن الجهاد يقول: أن الله سبحانه و تعالىٰ يأمر أن نتهيأ لهذا المقصود الأهم و هو أنه ينبغى و يجب لكل أحد محو حكومة الإنسان على الإنسان و تسخيرهم لهواهم و إقامة حكومة الإله بدل تلك الحكومات فى الأرض يقال: للسعى لتنفيذ ذلك المقصد جهاد و الصلاة و الصيام و الزكاة و الحج آلات و أسباب لرياضة الإنسان للتهيأ لذلك المقصد العظيم. (نفس المصدر ٣٥٨)

و هذه الدعاوى دعوى الخوارج بعينها كما ترى فإن تارك الحج الذى هو واجب موسع و كذلك سائر العبادات و إن كان يأثم بتركه هل يكون ذلك سببا لتسميته غير مسلم؟ لم ينقل ذلك عن أحد من الأئمة و مع ذلك ترى أنه يستنفز جميع أعوانه لأخذ الأحكام من ظواهر الكتاب و السنة و لتأويل القرآن بحسب رأيهم كما سبق فى المبحث السالف و دعواه أيضا أن الإنسان خلق لإقامة الحكومة الإلهية و للتهيأ لذلك بالرياضات التى أعرب عنها بالعبادات أيضا مخترعة باطلة فكم من نبى مثل عيسىٰ و يحى لم يسعوا لإقامة الحكومة و لم يخطر ببالهم ذلك فإن منصب النبوة أولا و بالذات هداية الخلق إلى الصراط المستقيم لا السعى لإقامة

الـحكـومة و حينما توفرت الأسباب و الآلات ينتصبون لتولى أمور الـرعية مثـل نبى الله يوسف و داود و سليمان و نبينا خاتم النبيين صـلوات الله تعالى عليه و على كل واحد منهم أجمعين آمين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فتاوى العلماء الأجلة من نواحي الهند :

الـحمـد لوليه و الصلاة على نبيه و آله و صحبه و تابعيهم من بعده.

أمـا بـعد، فيا أيها العلماء الكرام و شموس الورىٰ لكل ظلمة و أوهام!

(١) مـا قـولـكـم (دامـت فيـوضـاتـكـم) عن المودوديين؟ الذين يـدعـون بـأعضاء جماعت إسلامى و اتباع أبى الأعلى الداخلين فى هـذا الـمـذهب بعد ما تجددوا الشهادة، هل هم مبتدعة أم مارقون من الـديـن الـحـنيـفة الـغـراء؟ و قـد يظهر عند التأمل فى منشوراتهم ما يخالف عقائد أهل السنة حرسها الله تعالىٰ مدى الأزمان .

(٢) و هـل تـجـوز الـصـلاة على أموات المودوديين وغيرهم من المبتدعة للسنيين أم تـحرم سيما لأهل الـخير و الصلاح الذين يقتدى بهم فيكون ذلك سببا لحسن الظن بهم و بدعـاويهم الفاسـدة؟

أفتـونـا مـأجورين مع النقول المعتبرة جزاكم الله عنا و عن

سائر المسلمين خير الجزاء . آمين.

خادمكم و راجى شرف محياكم

عبد القادر أم أى عفى عنه

٥٩-١٠-٢٨

فتوى :

الجواب، اللهم هدية للصواب.

نعم هم فرقة ضالة مبتدعة مضلة خارجة عن أهل السنة و الجماعة لا شك فيه كما يظهر من رسائلهم و تحريراتهم و نريد أن ننقل بعض تحريراتهم ليستدل على بدعتهم و ضلالتهم و إضلالهم عامة الناس، فإن أصل أصولهم الذى يجب على كل واحد ممن يدخل فى جماعتهم التزامه و العمل به هو الخروج عن أهل السنة و الجماعة ففى كتابهم الأردية المسمى "بدستور جماعت إسلامى" رسول خدا كے سوا كسى انسان كو معيار حق نه بنائے، كسى كو تنقيد سے بالا تر نه سمجھے كسى كى ذهنى غلامى ميں مبتلا نه هو اه معناه أنه لا يجعل أحد سوى رسول الله ﷺ معيار حق أى محل تمييز الحق عن الباطل و أن لا يعتقد أن أحدا سوى رسول الله ﷺ برىء عن التنقيد و الجرح و الطعن و أن لا يقلد أحدا سوى رسول الله ﷺ جعلوا هذه الأمور من لوازمات اعتقاد الجزء الثانى

من الشهادتين فلا يكون اعتقاد أن محمدا رسول الله صحيحا إلا بتلك اللوازمات كما هو شأن اللازم و الملزوم فهذا الأصل ينفى الإيمان عن كل من قلد أحدا من الناس سوى رسول الله ﷺ و ينفى أيضا إيمان من اعتقد البراء ة عن التنقيد و الطعن لغير رسول الله ﷺ سواء كانوا أئمة مجتهدين أو تابعين بإحسان أو صحابة مكرمين و لو كان صديقا أكبر بل و لو كانوا أنبياء مرسلين و ينفى الإيمان أيضا عمن يعتقد أن الصحابة معيار حق فيلزم منه أن أهل السنة و الجماعة كلهم (معاذ الله) ليسوا على إيمان صحيح بل هم خارجون عن الإيمان فإنهم يعتقدون عصمة الأنبياء و يعتقدون أنهم بريئون عن التنقيد و الطعن و أنهم معيار حق و كذلك يعتقدون أن الصحابة كلهم عدول لا يحتاجون إلى تعديل أحد و أنهم معيار حق و أنهم بريئون عن التنقيد و الطعن و الجرح، قال المحقق ابن الهمام الحنفى: و العلامة ابن أبى شريف الشافعى فى المسايرة و شرحه المسامسرة ص ١٣٠ و اعتقاد أهل السنة و الجماعة تزكية جميع الصحابة رضى الله تعالىٰ عنهم وجوبا بإثبات العدالة لكل منهم و الكف عن الطعن فيهم و الثناء عليهم كما أنزل الله سبحانه و تعالىٰ عليهم .

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ [سورة آل عمران،

آية: ١١٠]

و قال تعالى :

﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَّسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ... ﴾ [سورة البقرة ، آية : ١٤٢]

و قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): فى الإصابة فى تمييز الصحابة الجلد الأول ص ١١ الفصل الثالث فى بيان حال الصحابة اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول و لم يخالف فى ذلك إلا شذوذ من المبتدعة و قد ذكر الخطيب فى الكفاية فصلا نفيسا فى ذلك فقال: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم و إخباره عن طهارتهم و اختياره لهم فمن ذلك قوله تعالىٰ:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ... ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١١٠]

و قوله تعالى:

﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَّسَطًا ... ﴾ [سورة البقرة ، آية : ١٤٢]

و قوله تعالىٰ:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾ [سورة الفتح، آية : ١٨]

فعلم ما فی قلوبهم و قوله تعالیٰ:

﴿وَ السَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَ الأَنْصَارِ وَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوْا عَنْهُ ...﴾ [سورة التوبة، آية: ١٠٠]

و قوله تعالیٰ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّٰهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [سورة الأنفال ، آية : ٦٤]

و قوله تعالیٰ:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِيْنَ الَّذِيْنَ أُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُوْنَ فَضْلاً مِّنَ اللّٰهِ وَ رِضْوَانًا وَ يَنْصُرُوْنَ اللّٰهَ وَ رَسُوْلَهٗ أُوْلٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُوْنَ﴾ [سورة الحشر، آية : ٨]

فی آيات كثيرة يطول ذكرها و أحاديث شهيرة يكثر تعدادها و جميع ذلك يقتضی القطع بتعديلهم و لا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله و رسوله إلی تعديل أحد من الخلق اه انظروا إلی هذه الآيات و الأحاديث التی وردت فيهم و إلی أقوال أهل السنة و الجماعة بالاتفاق مع ما ذكر فی دستور جماعت إسلامی ص ١ تقول تلك الفرقة : ليس أحد سوی رسول الله صلى الله عليه وسلم معيار حق و لو كان صديقا أكبر بل و لو كان نبيا مرسلا و ليس أحد منهم بريئا عن

التنقيد و الجرح و الطعن و لا أحد منهم أهلا للتنقيد لا يجوز تقليد أحد منهم فهل هذا إلا إضلال للناس و إخراجهم من الدين المنقول من النبى ﷺ بواسطة الصحابة و إيجاد دين جديد يوافق أهواء هؤلاء و دعاء الناس إليه ليقلدوه و يجعلوا أبا الأعلى إماما و مقتدى به و يتركوا تقليد الأئمة المجتهدين و اتباع السلف الصالحين و قال أبو زرعة الرازى رحمه الله : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، و ذلك أن الرسول حق و القرآن حق و ما جاء به حق و إنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة و هؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب و السنة و الجرح بهم أولى و هم زنادقة انتهى. (الإصابة ج ١ ص ١٨)

و قد صرح المودودى بالطعن فى الصحابة فى بعض تصانيفه كالتفهيمات ص ٢٩ و فى ترجمان القرآن ربيع الأول ٥٥ ابنى بصيرت كى بنا پر نه تو ميں قديم گروه كو سراپا خير سمجهتا هوں نه جديد گروه كو اه أى أدت بصيرة المودودى إلى أن السلف ليس تمامهم على خير و لا الخلف على خير اه سبحان الله! فإذا كان الصحابة مطعونين فكيف الاعتماد على ما نقلوا إلينا و كيف الاقتداء بهم و قد قال ﷺ : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتهم اهتديتم، و قال ﷺ :خير القرون قرنى ... هذا الحديث

كـاد أن يـكـون متواترا بل قال بعضهم : أنه متواتر و أمثال ما ذكرنا من الأباطيل المنقولة عن أبى الأعلى المودودى و جماعته كثيرة فى الاعتـقـاديـات و الفروعيات و اعتقاد هذه الجماعة أيضا أن صاحب الـكبيـرـة ليـس بمؤمن كما تقول المعتزلة والخوارج: و فى الخطبات (١٨٦) أن مـن لـم يحج فى عمره و لم يخطر فى قلبه إرادة الحج فهو ليـس بـمسـلـم قـطـعـاً و هـو كـاذب فى دعوى كونه مسلما و من حكم بإسلامه فهو جـاهل بالقرآن اه و كذلك يقول: فى شأن الصلاة و الزكاة و الصوم انظروا إلى جراءة هذا الشخص فإنه يحكم على أهل السنة و الـجـمـاعة كـلهم بأنهم جاهلون بالقرآن فإنهم كلهم متفقون عـلـى أن مـن آمـن و لم يعمل بالحج و غيره ينفعه إيمانه قطعا، و إن عذب بقدر معصيته فهم مسلم قطعا، قال الله تعالىٰ:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوْا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوْا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا...﴾ [سورة الزمر، آية : ٥٣]

و قـال النبى ﷺ :ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخـل الـجـنة، قـلت : و إن زنى و إن سرق، قال: و إن زنى و إن سرق، قـلـت: و إن زنـى و إن سـرق، قال: و إن زنى و إن سرق، قـلت: و إن زنى و إن سرق، قال: و إن زنى و إن سرق رغم أنف أبى ذر، الـحـديـث (متـفق عليه) و أمثال ما ذكر من الآيات و الأحاديث

كثيرة لا نطول بذكرها و يقول المودودى: أن الإيمان مع ارتكاب المعصية لا فائدة له و لغو لا اعتبار له و لا معنى له، كما تقول المعتزلة و الخوارج : و قال المودودى أيضا: أن الجهاد مع المخالفين لجماعتهم واجب لا بد منه. (جماعت إسلامى ص ٨٧)

كما هو رأى الخوارج فاتضح مما نقلنا أن هذه الفرقة مبتدعة ضالة مضلة يجب على أهل السنة و الجماعة تحذير الناس من مذهبهم و مطالعة كتبهم أضر على عوام الناس فى دينهم من السم القاتل، فلذلك حذر الناس من مذهبهم و مطالعة كتبهم أعيان علماء شمال الهند كالعالم العلامة الحاج الحافظ السيد حسين أحمد المدنى صدر المدرسين فى دار العلوم الديوبند و العالم العلامة المفتى محمد كفاية الله الدهلوى و العالم العلامة الفاضل القارى الحافظ الحاج محمد طيب ناظر المدرسة الديوبندية و العالم العلامة عبد اللطيف ناظر مدرسة مظاهر العلوم سهارنفور و العالم العلامة الحاج الحافظ محمد زكريا شيخ الحديث فى مدرسة مظاهر العلوم سهارنفور و العلامة الحاج الحافظ محمد إعزاز على شيخ الأدب و الفقه فى دار العلوم الديوبند و العالم العلامة الحاج السيد فخر الدين الأستاذ الأعلى فى المدرسة الديوبندية وغيرهم من أعيان العلماء و نتوقف عن تكفير هذه الفرقة و إن كان يلزم من بعض ما نقل عنهم

الكفر بناء على أن لازم المذهب ليس بمذهب و أما الصلاة عليهم فغير جائزة إذا كانت على صورة تعظيمهم و توقيرهم كما فى صورة الصلاة على الغائب و أما إذا كانت لأداء فرض الكفاية فقط فتجوز بل تجب عند أكثر العلماء و عند بعضهم كعمر بن عبد العزيز و الأوزاعى لا تجوز الصلاة عليهم بل يدفن بلا صلاة، قال ابن رشد: فى بداية المجتهد أجمع أكثر أهل العلم على إجازة الصلاة على كل من قال: لا إله إلا الله و فى ذلك أثر أنه قال عليه الصلاة و السلام: صلوا على من قال: لا إله إلا الله و سواء كان من أهل الكبائر أو من أهل البدع إلا أن مالكا كره لأهل الفضل الصلاة على أهل البدع و من العلماء من لم يجوز الصلاة على أهل الكبائر و لا على أهل البغى و البدع و السبب فى اختلافهم فى الصلاة أما فى أهل البدع فلاختلافهم فى تكفيرهم ببدعهم فمن كفرهم بالتاويل البعيد لم يجز الصلاة عليهم و من لم يكفرهم إذا كان الكفر عنده إنما هو تكذيب الرسول لتأويل أقواله عليه الصلاة و السلام، قال: الصلاة عليهم جائزة اه قال الشوكانى: قال عمر بن عبد العزيز و الأوزاعى: لا يصلى على الفاسق تصريحا أو تأويلا ووافقهم أبو حنيفة و أصحابه فى الباغى و المحارب ووافقهم الشافعى فى قول له : فى قاطع الطريق و ذهب مالك و الشافعى و أبوحنيفة و جمهور العلماء

إلى أنه يصلى على الفاسق اه قال ابن رشد: و أما كراهية مالك الصلاة على أهل البدع فذلك لمكان الزجر و العقوبة لهم اه فقول الشيخ: في الغنية كما نقله ابن حجر في "الصواعق المحرقة" و لا يصلى عليهم إذا ماتوا يحتمل أن يكون على موافقة عمر بن عبد العزيز و الأوزاعي و يحتمل أن يكون على موافقة قول الإمام مالك: رحمه الله و يحتمل أن يكون في صورة تعظيمهم و توقيرهم لئلا تفسد عقائد الناس فقط، و الله أعلم بالصواب.

كتبه الشيخ حسن عفي عنه ٥ شعبان ١٣٧٩.

الجواب هو الصواب و الله تعالى أعلم. كتبه الشيخ آدم عفي عنه ناظر مدرسة الباقايات الصالحات و يلور و صوبه محمد أبو بكر عفي عنه و عبد الوهاب عفي عنه.و السيد محمد عفي عنه و السيد عبد الجبار عفي عنه و السيد محمد ميران و السيد عبد العزيز مدرسو الكلية الباقيات الصالحات في ويلور.

